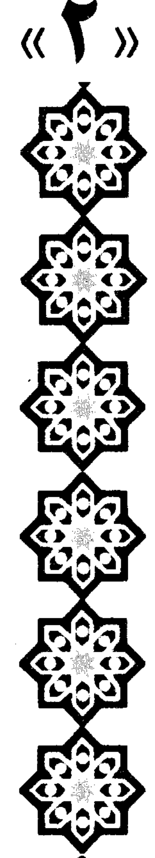
بسم الله الرحمن الرحيم

الكتاب الإسلامي

« ٢ »

سلسلة علمية دورية محكمة تعنى بالقضايا الإسلامية المعاصرة



التدرج في دعوة النبي

(صلى الله عليه وسلم)

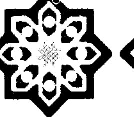
إبراهيم بن عبد الله المطلق







وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
مركز البحوث والدراسات الإسلامية





ح مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٧هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

المطلق ، إبراهيم عبدالله

التدرج في دعوة النبي ﷺ ـ الرياض
. . . ص ، . . سم . ـ (سلسلة الكتاب الإسلامي ، ٢)
ردمك ٨-٠٣-٨٢٧-٩٩٦٠
ردمد ٦٢٩٤-١٣١٩
١ الدعوة الإسلامية ٢ ـ السيرة النبوية أ ـ العنوان ب ـ السلسلة
ديوي ٢١٣ ١٧/٢٩٤٨

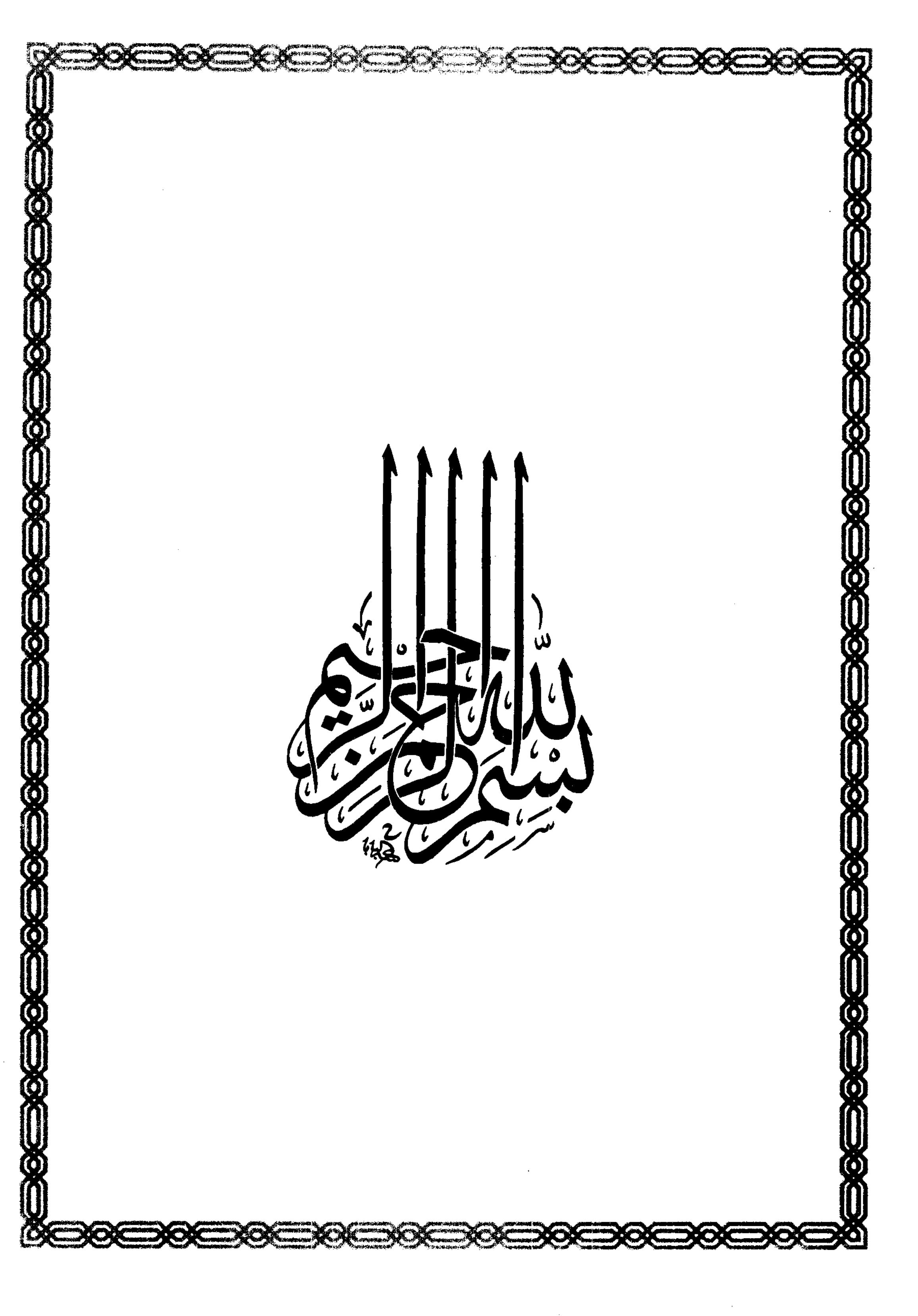
ردمك : ٨-٠٣-٨٢٧-٩٩٦٠ ردمد ٦٢٩٤-١٣١٩ رقم الإيداع : ١٧/٢٩٤٨

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ

مركز البحوث والدراسات الإسلامية

ص . ب . ٦١٨٤٣ ، الرمز البريدي ١١٥٧٥
الهاتف : ٤٦٤٥٤٤٠ ، الفاكس : ٤٦٤٩٩١٨
الرياض ـ المملكة العربية السعودية


بسم الله الرحمن الرحيم



تقــــديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ابن عبدالله المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله - عز وجل - هي مهمة الأنبياء والرسل، وواجب المؤمنين عامة وأهل العلم منهم خاصة. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت/ ٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٤].

إن المكانة الرفيعة للدعوة الإسلامية هي التي جعلت مركز البحوث والدراسات الإسلامية يستهل بها سلسلة «الكتاب الإسلامي» فكان موضوع الكتاب الأول من هذه السلسلة: «مسؤولية الدول الإسلامية عن الدعوة ونموذج المملكة العربية السعودية» وها هو المركز يواصل اهتمامه بأمر الدعوة إلى الإسلام، فيصدر كتاب: «التدرج في دعوة النبي ﷺ» الذي يبحث في قضية عظيمة الأهمية في فقه الدعوة أسيء فهمها على أيدي بعض المشتغلين بالدعوة الإسلامية، ممن يفتقرون إلى التأهيل العلمي والسلوكي. فهؤلاء يجهلون - أو يتجاهلون - أن الخير كل الخير في اتباع سنة المصطفى ﷺ، وأن الشر كل الشر في الابتداع وتنكب الهدي النبوي الكريم.

وإن من يتأمَّل في رسالة الإسلام منذ بعثته ﷺ إلى أن اختاره الله ـ عز وجل ـ إلى جواره، يتضح له أن التدرج كان السمة البارزة في مسار الرسالة. فالقرآن الكريم أنزل على رسول الله ﷺ منجَّماً، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء/ ١٠٦]. فلقد بدأ الإسلام بأركان الإيمان لإفراد الله عز وجل بالعبودية ونبذ الشرك والوثنية، وبعد بضع سنوات من تثبيت عقيدة التوحيد في نفوس الجماعة المؤمنة فرضت الصلاة ثم الصيام والزكاة والجهاد والحج، وبالتدرج نفسه جرى تحريم المنكرات، فتحريم الخمر ـ للتمثيل لا الحصر ـ تم على مراحل، بدأت بالتحذير من مضاره وآثامه، ثم انتهت إلى تحريمه على وجه القطع. وأما في المدعوين أنفسهم فقد تدرجت دعوة النبي ﷺ إذ بدأ بمحيطه القريب جداً «زوجته خديجة، وصاحبه أبي بكر، وابن عمه علي بن أبي طالب، وغلامه زيد بن حارثة» ثم اتسعت الدائرة لتشمل محيطاً من أقاربه أوسع من ذي قبل، عملاً بقوله ـ عز وجل ـ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء/ ٢١٤].

وبعد أن أنذر ﷺ أهل مكة وصبر على أذاهم طويلاً، دعا أهل الطائف ثم أعيان قبائل العرب ممن يقدمون على بيت الله الحرام.

وبعد الإذن بالهجرة إلى المدينة دعا النبي ﷺ أهل الكتاب، ثم أزال بالجهاد الذين كانوا يعيقون إبلاغ الدعوة إلى الناس، ثم أرسل الكتب إلى زعماء الروم والفرس والحبشة وغيرهم يدعوهم إلى الدخول في دين الله، وعلى النهج ذاته سار

خلفاؤه الـراشدون ، إذ لم يجاهدوا خـارج جزيرة العـرب إلا بعد أن أكمل الله على أيديهم تطهير الجزيرة من براثن الشرك والوثنية .

وهكذا فإن الـدعاة في حـاجة دائمـة إلى التزود من فقـه النبوة في الـدعوة إلى الله ، ليحوز عملهم ــ بإذن الله ـ شَـرطيْ القبول وهما : الإخـلاص لله ، والصواب بموافقة الكتاب الكريم والسنة المطهرة .

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ .

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

أ . د عبدالله بن عبدالمحسن التركي
وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد
والمشرف العام على مركز البحوث والدراسات الإسلامية



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وبعد :

فقد اطَّلعت على الكتاب المسمى: «**التدرج في دعوة النبي ﷺ**» من إعداد: الشيخ إبراهيم المطلق عضو هيئة التدريس في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، فوجدته كتاباً جيداً في موضوعه يحتاج إليه من يدعو إلى الله ليسير على ما وضَّحه فضيلته من سيرة النبي ﷺ في الدعوة وتدرجه مع المدعوين ومخاطبتهم على قدر استعدادهم وهذا مما ينقص كثيراً ممن يشتغلون في الدعوة مما سبب خللاً كبيراً في دعوتهم حيث لم يرجعوا إلى منهج الرسول ﷺ في الدعوة وإنما يرجعون إلى رسوم رسمها لهم متبوعوهم من رؤسائهم وجماعاتهم، فعلى كل من ينتمي إلى الدعوة العودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.واستمداد المنهج منهما من أجل أن تثمر دعوتهم وتنجح جهودهم بإذن الله. وهذا الكتاب يضع لبنة في بناء المنهج الصحيح للدعوة، جزى الله مؤلفه خير الجزاء ووفقه لما فيه الخير وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه:

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

١٤١٦/٨/٢٠ هـ

المقدمـــة

إنَّ الحمدَ لله، نحمدهُ، ونستعينـه، ونستغفره، ونتوب إليه، ونعـوذ بالله من شرور أَنفسنا، ومن سيِّئات أَعمالنا، من يهدِهِ الله فلا مُضِلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وصلّى الله وسلَّمَ وبارك على نبينا محمـد، الذي بلَّغَ الرسالة، وأَدَّى الأَمانة، وجـاهد في الله حق جهاده، حتـى تركنا على المحجّة البيضـاء، ليلها كنهارها، لايزيغ عنها إلاَّ هالك، وعلى آلـه وصحبه وأَتباعه، ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته إلى يومِ الدِّين.

أَما بعـــد :

فإن الدعـوة إلى الله تعالى، هي وظيفة الرسل جميعـاً، ومن أَجلها بعثهم الله تعالى إلى الناس، فكلّهم بلا استثناء، دعوا أقوامهم ومن أُرسلوا إليهم إلى الإيمان بالله، وإفراده بالعبادة على النحو الذي شرعه لهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(1).

فرسل الله هم الـدعاة، وقد اختارهم الله لحمل دعوتـه وتبليغها. وقد ختمَ الله الـرسـالات بنبينـا محمـد ﷺ، الذي بعثـه الله داعيـاً إلـى الحق، ورحمـة للعالميـن، قال تعـالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(2).

---

(1) سورة النحل، الآية: ٣٦

(2) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

فقام ﷺ بمهمة الدعوة على أكمل وجه وأتمه، إذ كان عليه أن يبلغ رسالة ربه كما أمره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ﴾[1].

وكان عليه أن يُخرج الناس من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم والإيمان، بإذن الله قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[2].

وقد بُعثَ ﷺ في مجتمع جاهلي، عبد أهله الأصنام، والأوثان، وأعرضوا عن عبادة الله وحده، فكان من حكمته ﷺ في الدعوة، أن قدّم لهم الدِّين الإسلامي، كما يُقدَّم العلاج للمريض، فلم يفاجئهم عليه الصلاة والسلام بتسفيه أحلامهم، وشتم آلهتهم، بل دعاهم إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن، متدرجاً معهم في بيان أحكام الله وشرائعه وتطبيقها في واقع الحياة، فكان من نتيجة ذلك أن استجاب الناس لدعوته، فلم تصعد روحه الطاهرة إلى بارئها، حتى أقر الله عينه بإقبال الناس أفواجاً على هذا الدِّين، قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ * وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا * فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[3].

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة إبراهيم، الآية: ١.

(٣) سورة النصر.

□ أهداف البحث[1]:

لقد توخيت من خلال كتابة هذا البحث تحقيقَ أُمورٍ من أهمّها:

١ ـ الإسهام في بيان الطريقة الصحيحة والناجحة في الدعوة إلى الله، لتكون نبراساً يضيء للدعاة طريقهم.

٢ ـ توجيه الدعاة إلى أهمية العناية بالتدرج في الدعوة، وأنّه الطريقُ الأمثل في الدعوة.

٣ ـ توضيح ما يترتب على التفريط بالتدرج في الدعوة، من آثار سلبية ونتائج عكسية.

٤ ـ بيان أَهمية هذا المسلك، في دعوة غير المسلمين إلى الإسلام.

□ أهمية البحث وأَسباب اختياره:

تتضح لنا أَهميّة هذا البحث من خلال النشاط الدعوي في هذا الزمن، لأنه وإن اختلف الزمان، لم يختلف المدعو وهو الإنسان، فالمدعو إنسان يتأَثّر بظروف بيئته الخاصة، كظروف أسرته التي يعيش فيها، وما عليه هذه الأسرة من غنى وفقر، وعلم وجهل، وجاه وضعف ونحو ذلك، هذه الظروف تؤثر في شخصية المدعو ونفسيته ونظرته إلى الحياة، وكما يتأثر المدعو بظروف بيئته العامة، كظروف العصر الذي يعيش فيه، وما يوجد في هذا العصر من تقدم علمي وتقني، ومن تيارات سياسية، ومن طغيان القوي على الضعيف، وغير ذلك من الأُمور.

ولا شك أن النفس البشرية، قد زُيِّن لها حُب الشهوات والملذات، كما قال

---

(١) أصل هذا الكتاب رسالة علمية نال بها الباحث درجة الماجستير بتقدير «ممتاز» من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(١)

ولقد بُعِثَ النَّبي ﷺ والبشرية تعيش في دياجير الظلام، فكانت بعثته لإخراجها من الظلمات إلى النور، وعلى ذلك فإن مهمته أَن يُمكن الناس من إدراك حقيقة ماجاء به، والاقتناع بسلامته، ثم اعتناقه بعد ذلك، والالتزام به مدى الحياة.

ولقد كان لتدرجه ﷺ في الدعوة، الأثر العظيم، وقد ظهر هذا الأَثر واضحاً في نفوس كثير من المدعوين بقبولهم للحق وسرعة استجابتهم له.

ولاشك أَن حال الناس اليوم، في جوانب عديدة، وخصوصاً الانحراف الفكري والسلوكي، يشبه حالهم وقت بعثته ﷺ، ولاسبيل لإخراجهم من الظلمات إلى النور إلاَّ بالدعوة والنشاط الدعوي، الذي تكمن صورته المثلى في منهجه ﷺ في الدعوة.

وإدراكاً لأَهميّة هذا الموضوع، وإحساساً بالحاجة الملحة إلى عرضه بصورة تختلف عما هو موجود فيما كتب، حيث غلب عليه الرصد والاختصار، دون بيان موضوعه ووسيلته وأُسلوبه، فقد وجهت نيتي له بإذن الله، بعد القراءة المستفيضة حوله، والاستشارات العلمية، بالإضافة إلى أَسباب أُخرى أَهمها:

١ - الحاجة الملحة إلى التدرج في الدعوة في هذا العصر.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤.

٢ ـ عدم وجود كتابات تفصيلية قديمة أَو حديثة عن هذا الموضوع.

٣ ـ ارتباط البحث بتخصصي العلمي، حيث تخرجت في قسم الدعوة بكلية الدعوة والإعلام.

هذا وأَسأل الله العليّ القديرَ، أَن يوفقني للإخلاص في النية، والصواب في العمل، إِنَّه ولي ذلك والقادر عليه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

❑ ❑ ❑

□ التعريف بمصطلحات البحث :

(ا) التــــدرُّج:

التدرج لغة :

بالنظر في معاجم اللغة العربية نجد الكلمات:

دَرَجَ - درَّج - تدرَّجَ - استدرج - الدَّراجة.

ومعنى ذلك أَن اللفظ جاء فعلاً مجرداً، ومزيداً بالتضعيف، وبه وبالتاء، وجاء اسماً، ومع الاختلاف اليسير في معاني الكلمات، إلاَّ أَنَّها تدل على المشي والحركة الهينة، والصعود في المراتب.

فقد جاءت كلمة (درج) بمعنى المشي والمضي فيه. ففي معجم مقاييس اللغة:

(دَرَجَ) الدال والراء والجيم، أَصل واحد يدل على مضي الشيء، والمضي في الشيء، من ذلك قولهم درجَ الشيء، إذا مضى لسبيله[(١)].

وفي الصحاح:

يُقال: درجَ الرجل، ويدرج دروجاً ودرجاناً أَي مشى[(٢)].

وجاء في المعجم الوسيط:

درجَ الصبي: أَخذَ في الحركة، ومشى قليلاً أَوّل مايمشي ودرَجت

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٢٧٥.

(٢) إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، ١/ ٣١٣.

الريح: مرت مرًّا هيناً[1].

وأَما درَّجَ بتشـديد الراء، فمعناهـا التأنِّي في تناول الشيء أَو بلـوغه، ففي لسان العرب: يُقال: درجَّت العليل تـدريجاً، إذا أَطعمته شيئاً قليلاً، وذلك إذا نقِه، حتى يتدرج إلى غاية أَكله، كما كان قبل العلة درجةً درجةً[2].

ودرَّج فلاناً إلى الشيء: أَدناه منه قليلاً قليلاً وعوّده إيَّاه.

ودرَّج الطعام ودرَّج الأمر فلاناً: حملاه على التدرج فيهما[3].

ويُقال: (درَّجه): جعله درجات.

وأَما (تدرَّج) فهو مطاوع درَّجه.

في اللسان: درّجه إلـى كذا واستدرجه، بمعنىً، أي أدناه منـه على التدريج، فتدرّج هو[4].

فإذا خرجنا من دائرة الفعل، واتجهنا إلى الاسم وجدنا:

الـدرَّاجة: بـالفتح وهي التي يـدرَّج عليها الصبـي، إذا مشى، حكاه أَبـو النصر[5].

ودَرَجُ البنـاء ودُرَّجه، بـالتثقيل، أَي تشديـد الراء، وهـي المراتب بعضهـا

---

(١) د. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ١/ ٢٧٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ١/ ٩٦٣.

(٣) د. إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ١/ ٢٧٧.

(٤) ابن منظور، لسان العرب ١/ ٩٦٤.

(٥) الجوهري، الصحاح ١/ ٣١٤.

فوق بعض.

والـدَرَجـة: المـرقـاة، والـدرجة واحـدة الـدرجـات، وهـي الطبقـات من المراتب ودرجات الجنة منازل أَرفع من منازل[1].

وفي القرآن الكريم: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[2].

وقال تعـالى: ﴿ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ﴾[3].

ومما تقدَّم تتضح لنـا العـلاقة جليـة بين الفعل والاسـم، لأن الدراجـة يدرج عليهـا الصبي، وصعـود البناء يحتـاج إلى درجة، ومـراتب بعضهـا فوق بعض، وكذلك درجات الجنة، منازل بعضها فوق بعض.

وكلمة «التدرّج» التي نحن بصدد بحثهـا، تشتمل على المعاني السابقة، التي ذكرناها في الفعل والاسم.

التدرج في الاصطلاح :

من خلال معانـي التدرج في اللغة، يمكن الوصول إلـى تعريف للتدرج هو: «التقدم بـالمدعو شيئاً فشيئاً، للبلـوغ به إلى غاية ماطلـب منه، وَفْقَ طرق مشروعة مخصوصة».

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٩٦٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٣.

(٣) سورة النساء، الآية: ٩٥.

(ب) الدعـــوة :

الدعوة لغة: تأتي الدعوة في اللغة لمعانٍ عدة:

منهـا: إمـالـة الشيء إليـك بصوت وكـلام، يكـون منـك، والـدعـوة إلى الطعام، والنداء، والحث على قصد الشيء.

ومن الـدعوة جـاء اشتقاق الـداعية وهـو: الذي يـدعو إلى ديـن أو فكرة، والهاء للمبالغة(١).

والدعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع(٢).

قال تعالى: مخبراً عن الجن الذين استمعوا القرآن:

﴿يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾(٣).

والنبي ﷺ، داعي الله تعالى، وكذلك المؤذن(٤).

قال تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾(٥).

وقـال تعـالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾(٦)

---

(١) إخراج إبراهيم أنيس وآخرين، المعجم الوسيط، ١/ ٢٨٦.

(٢) ابن منظور، لسان العرب ١/ ٩٨٧.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٣١.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، ١/ ٩٨٧.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

(٦) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

وقال تعالى ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[1].

ونخلص من هذا بأن للدعوة في اللغة معاني عديدة، منها إمالة الشيء إليك، بصوت وكلام يكون منك، والدعوة إلى الطعام، والنداء والحثّ على قصد الشيء ـ كما سبق أن ذكرنا ـ وهناك معان أُخرى، منها التمني، والطلب، والزعم..

والذي يعنينا من هذه المعاني اللغوية، هو الحثّ لأن الداعية، يحثّ المدعوين على الفكرة التي يريدها، والدِّين الذي يدعو إليه.

الدعوة في الاصطلاح :

كلمة الدعوة في الاصطلاح تطلق ويُقصد بها معنيان:

١ ـ الإسـلام .

٢ ـ نشر الإسلام بين الناس.

والذي يهمنا في بحثنا هذا هو المعنى الثاني.

وقد عـرّف الدعوة بهذا التعريف كثير من الكتّاب والدعاة المعاصرين نقتصر منها على التعاريف التالية:

(ا) عرّفها الأُستاذ/ أبو المجد نوفل بقوله: «إن الدعوة هي قيام من

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

عنده أهلية النصح والتوجيه السديد من المسلمين، في كل زمان ومكان، بترغيب الناس في الإسلام اعتقاداً ومنهجاً وتحذيرهم من غيره بطرق مخصوصة»[1].

(ب) وعرَّفها آخر بقوله: «إن الدعوة إلى الله هي قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان، لاقتفاء أثر الرسول ﷺ، والتأسِّي به قولاً وعملاً وسلوكاً»[2].

(جـ) وعرَّفها آخر بقوله الدعوة هي: «الحث على فعل الخير واجتناب الشر ـ والأَمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ والتحبيب بالفضيلة، والتنفير عن الرذيلة ـ واتِّباع الحق ونبذ الباطل»[3].

ولعلَّ أَقرب هذه التعريفات إلى الصواب هو: تعريف الدكتور أَبو المجد نوفل وهو التعريف الأَول، من تعريفات المعنى الثاني للدعوة.

(جـ) الموضوع :

عرَّف يوسف خياط الموضوع بقوله: «موضوع كل علم مايبحث فيه عوارضه الذاتية، كبدن الإنسان لعلم الطب، فإِنَّه يبحث فيه عن أَحواله من حيث الصحة والمرض، وكالكلمات لعلم النحو، فإِنَّه يبحث فيه عن أَحوالها

---

(١) أبو المجد نوفل، الدعوة إلى الله، خصائصها، مقوماتها، مناهجها ص١٨.

(٢) محمد سيدي الحبيب، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، ص٢٧.

(٣) الشيخ محمد نمر الخطيب، مرشد الدعاة ص٢٤.

من حيث الإعراب والبناء»[1].

وفي المعجم الوسيط: الموضوع: هو المادّة التي يبني عليها المتكلِّم أَو الكاتب كلامه[2].

وموضوع الدعوة الإسلامية بحسب حال المدعو، فإن كان المدعو مسلماً فموضوع دعوته بحسب حاله، وهو لايخرج عن دعوته إلى التمسك بطاعة الله ورسوله والعمل بالكتاب والسنة»[3].

وإن كان المدعو غير مسلمٍ فموضوع دعوته الإسلام توحيداً وشريعة[4].

ونقصد بموضوع الدعوة هنا: موضوع دعوته ﷺ منذ بعثه الله إلى أَن صعدت روحه الطاهرة إلى بارئها وهو محصور في التوحيد والشريعة وهو شامل للمسلمين وغير المسلمين.

(د) **الوسيلة والأسلوب والفرق بينهما:**

١ ـ **الوسيلة في اللغة:**

(وسل) فلان إلى الله بالعمل (يسل) وسلاً: رغب وتقرّب[5].

والوسيلة القربة، والواسل الراغب إلى الله، وتوسل إليه بكذا: تقرب إليه

---

(١) يوسف خياط ،معجم المصطلحات العلمية والفنية ص٧٢٤.

(٢) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ٢/ ١٠٤٠.

(٣) انظر: د. توفيق الواعي، الدعوة إلى الله، ص٨١.

(٤) انظر: مسفر البواردي، أسس الدعوة في سورة إبراهيم عليه السلام، ص٥٥.

(٥) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط ٢/ ١٠٣٢.

بحرمة آصرةٍ تعطفه عليه[1].

والوسيلة ما يتقرب بـه إلى الغير، والجمع وسائل[2] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[3].

يقول ابن كثير: الوسيلة: هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود[4].

ويقول الفخر الرازي: الوسيلة هي التوصل إلى تحصيل المقصود[5].

وفي المفردات: الوسيلة هي التوصل إلى الشيء برغبة[6].

ويقـول ابن الأثير فـي النهايـة: الوسيلـة هي مـايتـوصل به إلـى الشيء، ويتقرب به، وجمعها وسائل[7].

٢ ـ الوسيلة في الاصطلاح :

للوسيلة في الاصطلاح تعاريف نكتفي منها بالآتي:

(ا) الوسيلة: هي كل مايتم به تبليغ الأساليب وحملها إلى المدعو[8].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ٢/ ٩٢٧.

(٢) الجوهري، الصحاح ٥/ ١٨٤١.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٣٥.

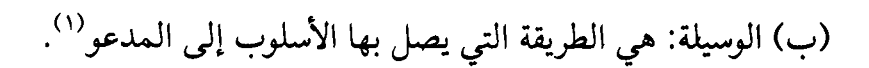
(٤) ابن كثير، تفسير القرآن الكريم، ٢/ ٥٣.

(٥) الإمام الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٦/ ٢٢٠.

(٦) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص٥٢٣.

(٧) ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ١٨٥.

(٨) د. عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة ص٤٢٩.



(ب) الوسيلة: هي الطريقة التي يصل بها الأسلوب إلى المدعو[1].

(جـ) الوسيلة في الدعوة أو الاتصال الدعوي هي: القناة الموصلة للغاية، أو الأداة المستخدمة في نقل المعاني والأفكار للناس[2].

من مجموع تعاريف الوسيلة في اللغة والاصطلاح، أستطيع القول بأن الوسيلة هي: الأداة المستخدمة في إيصال المعاني ونقل الأفكار من الداعي إلى المدعو.

٣ ـ الأسلوب في اللغة :

الأسلوب: الطريق، والوجه، والمذهب، يُقال: أنتم في أسلوب سوء، ويجمع أساليب، والأسلوب الطريق تأخذ فيه.

والأسلوب بالضم الفن، يُقال: أخذ فلان في أساليب القول، أي أفانين منه[3].

وفي المعجم الوسيط:

الأسلوب: الطريق، ويُقال: سلكت أسلوب فلان في كذا: طريقته ومذهبه، وطريقة الكاتب في كتابته[4].

٤ ـ الأسلوب في الاصطلاح :

للأسلوب في الاصطلاح تعاريف عديدة: نكتفي بذكر ثلاثة منها:

---

(١) د. أبو المجد السيد نوفل، الدعوة إلى الله ص١٨٩.
(٢) د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام ص٢٩.
(٣) ابن منظور، لسان العرب، مادة سلب ٢/ ١٧٨.
(٤) إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، مادة سلب، ١/ ٤٤٠.

(أ) الأسلوب: هو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها، للتعبير بها عن المعاني، قصد الإيضاح والتأثير[1].

(ب) الأسلوب: هو الطريقة الكلامية، التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه، واختيار مفرداته[2].

(جـ) الأسلوب: عرض مايراد عرضه، من معان وأفكار وقضايا، في عبارات وجمل مختارة، لتناسب فكر المخاطبين وأحوالهم، ومايجب لكلّ مقام من المقال[3].

من معاني الأسلوب في اللغة، وتعريفاته في الاصطلاح أصل إلى تعريف للأسلوب فأقول: الأسلوب هو: فن العرض والتأثير والإقناع.

٥ ـ الفرق بين الوسيلة والأسلوب :

تبيَّن لنا مما سبق، أنَّ الوسيلة هي: الأداة المستخدمة في إيصال المعاني، ونقل الأفكار، من الدَّاعي إلى المدعو.

أما الأسلوب فهو: فن العرض والتأثير والإقناع، والفرق بينهما أن الوسيلة أعم من الأسلوب إذ أنها هي الأداة التي تنقل الأسلوب وتوصله للناس.

(هـ) **المدعو** : يُقصد بالمدعو إذا أطلق، كل مكلف بالعبودية

---

(١) أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية) ص٤٤.

(٢) د. فهد بن عبدالرحمن الرومي، خصائص القرآن الكريم ص١٨.

(٣) د. أحمد محمد أبا بطين، المرأة المسلمة المعاصرة، ص٥٢٣.

والدينونة لله تعالى، وهم الثقلان[1] قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[2]

ولكن في بحثي هذا أعني بالمدعو، هو كل من اتّصل به النبي ﷺ من بني آدم، ودعاه إلى الله تعالى.

والمدعوون أصناف، فمنهم المشرك بالله تعالى، فيحتاج إلى جهد كبير، وأسلوب مناسب، ووسيلة مناسبة، ليتم إقناعه بالإسلام، ومنهم المؤمن، لكن إيمانه فيه ضعف، وللنفس والشيطان عليه سبيل، فهو يحتاج إلى جهد مضاعف، لكنه أقلّ من الجهد مع الصنف الأول، ومنهم الزعيم المغرور بزعامته، فهو بحاجة إلى أسلوب معين فيه لطف وليونة[3] قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[4].

- أنواع التدرج :

من أَبرز أنواع التدرج في بعثته ﷺ نوعان هما:

(ا) التدرج في التشريع :

اقتضت حكمة الباري تعالى، أن يتدرج في التشريع شيئاً فشيئاً، من أجل ذلك نزل القرآن منجماً، قال تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ

(١) مسفر بن عبدالله البواردي، أسس الدعوة في سورة إبراهيم عليه السلام ص٤٤.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) انظر: مسفر البواردي ص٤٤.

(٤) سورة طه، الآية: ٤٤.

عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾[1]. أي أنزلناه شيئاً بعد شيء، ونجماً بعد نجم، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد، لنفروا[2].

يقول الفخر الرازي: «لو أنزل الكتاب جملة واحدة لنزلت الشرائع بأسرها دفعة واحدة على الخلق، فكان يثقل عليهم ذلك، أما لو نزل مفرقاً منجماً، لاجرم نزلت التكاليف قليلاً قليلاً فكان تحملها أسهل»[3].

ومن أول من أشار إلى الحكمة من التدرج في التشريع، أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ حيث تقول: «... إنَّما نزل أوَّل ما نزل منه ـ أي القرآن ـ سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام، نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر، لقالوا: لاندع الخمر أبداً، ولو نزل لاتزنوا، لقالوا: لاندع الزنا أبداً....»[4]. وقد بيَّن ابن حجر رحمه الله في شرحه لهذا الحديث، الحكمة من هذا التدرُّج فقال: «أشارت إلى الحكمة الإلهية في ترتيب النزول، وأن أول ما نزل من القرآن الدعاء إلى التوحيد، والتبشير للمؤمن والمطيع بالجنة، وللكافر والعاصي بالنار، فلما اطمأنت النفوس على ذلك أنزلت الأحكام، ولهذا قالت: «ولو نزل أول شيء لاتشربوا الخمر، لقالوا لاندعها» وذلك لما طبعت عليه

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ٣٤٠.

(٣) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ٢٤/ ٧٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب: تأليف القرآن، (ك٦٩، ح٤٧٠٧) ٤/ ١٩١٠.

النفوس من النفرة عن ترك المألوف[1].

لقد أدرك العلماء سر التدرج في التشريع، ولاحظوا أنه أدعىٰ إلى قبول الناس للأحكام، بخلاف ما لو نزل التشريع دفعة واحدة، فإنه كان ينفر من قبوله كثير من الناس، لنزول الفرائض والنواهي جملة واحدة، يثقل على النفس حملها[2].

(ب) التدرج في الدعوة :

نقصد بالتدرج في الدعوة، تدرجه ﷺ في تبليغ الإسلام والدعوة إليه، تدرجه في الدعوة إلى الموضوع، توحيداً وشريعة، وتدرجه في اتخاذ الوسائل المناسبة لعمل دعوته ﷺ، ونقلها إلى الناس، وتدرجه في اتخاذ الأساليب المناسبة في الدعوة، وكذلك تدرجه ﷺ مع المدعوين، وهذا النوع من التدرج، هو موضوع بحثنا وسأتناوله بشيء من التفصيل في صلب هذه الرسالة إن شاء الله تعالى.

---

(١) ابن حجر، فتح الباري ١٠/٤٨.

(٢) انظر: د. صبحي الصالح، معالم الشريعة الإسلامية ص١٣٦.





التدرج في الدعوة باعتبار الموضوع

وفيه تمهيد ومبحثان:

المبحث الأَول: التوحيـــد

المبحث الثاني: الشريعـــة



تمهيد

بينت في تعريف الموضوع أَن المدعو إذا كان غير مسلم فموضوع دعوته الإِسلام توحيداً وشريعة، وقد بعثَ ﷺ في أُمة جاهلية تعبد الأَوثان وتشرك بالله الملِك الديَّان، فكان موضوع دعوتهم الإِسلام مبتدءاً بالتوحيد، ثم الشريعة، وقد قسَّمت هذا الفصل إلى مبحثين:

المبحث الأول: التوحيد.

المبحث الثاني: الشريعة.

وفيما يلي تفصيل هذين المبحثين:

❑ ❑ ❑

المبحث الأول

التوحيد

□ أولاً: مفهوم التوحيد:

١ ـ تعريف التوحيد:

سُمِي دين الإسلام توحيداً، لأَن مبناه على أَن الله واحد في ملكه وأَفعاله، لاشريك له، وواحد في ذاته وصفاته، لانظير له، وواحد في إلهيته وعبادته، لا ندّ له[١] وهذا الأَخير هو الذي دعت إليه الرسل، فالتوحيد إذاً هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وهو دين الرسل الذين أَرسلهم الله به إلى عباده[٢]، وهو العلم والاعتراف بتفرد الربّ بصفات الكمال والجلال والعظمة، وإفراده وحده بالعبادة[٣].

فتوحيد الله معناه: اعتقاد أَن الله واحد لاشريك له، ونفي المثيل والنظير عنه، والتوجُّه إليه وحده بالعبادة[٤].

---

(١) الشيخ سليمان بن عبدالله آل الشيخ، تيسير العزيز الحميد، ص٣٢، ٣٣.
(٢) الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، القول السديد في شرح كتاب التوحيد، ص١٢، ١٣.
(٣) انظر: الشيخ السعدي المرجع السابق ص١٠.
(٤) الشيخ خالد محمد علي الحاج، مصرع الشرك والخرافة، ص١٨.

وهذا المفهوم للتوحيد، هو الحق الموافق للصواب، لشموله لتوحيد الربوبية والأُلوهية والأَسماء والصفات، ولموافقته لما كان يعتقده السلف الصالح رضي الله عنهم.

٢ ـ أنواع التوحيد :

التوحيد نوعان:

النوع الأَول: توحيد في المعرفة والإثبات، ويشمل توحيد الربوبية، وتوحيد الأَسماء والصفات.

النوع الثاني: توحيد في الطلب والقصد، وهو توحيد الأُلوهية والعبادة.

أَما توحيد الربوبية فهو: توحيد الله بأَفعاله، مثل الخلق، والرزق، والإحياء والإماتة ونحوها، وهو الذي أَقرّ به المشركون في زمنه ﷺ، ولم يدخلهم في الإسلام، بل قاتلهم الرسول ﷺ واستحلَّ دماءهم وأَموالهم[١]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾[٢].

فقريش ومن قبلهم من الأُمم، مقرّون بهذا النوع من التوحيد، ولم تقع بينهم وبين أَنبيائهم خصومة فيه، ومع ذلك لم يدخلهم في الإسلام، ولم ينجهم من نقمة الله تعالى وعذابه[٣].

---

(١) عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ٤٥.

(٢) سورة يونس، الآية: ٣١.

(٣) عبدالرحمن قاسم، المرجع السابق ص٤٥.

أما توحيد الأسماء والصفات: فهو أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفياً وإثباتاً، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه مانفاه عن نفسه[١].

ودليل هذا القول قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ * ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾[٢]

وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٣]. وهذان هما النوع الأول وهو التوحيد في المعرفة والإثبات.

أما توحيد الألوهية: فهو إخلاص العبادة لله وحده، من جميع الخلق[٤]. فلا يعبد إلاّ الله وحده، ولايشرك معه في العبادة أحداً، لا ملكاً مقرباً، ولا نبياً مرسلاً، فضلاً عمّن دونهما، وهذا الذي يدخل الرجل في الإسلام[٥].

ودليله قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٦].

وقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾[٧].

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣/ ٣.

(٢) سورة الإخلاص.

(٣) سورة الشورى، الآية: ١١.

(٤) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب، القسم الثالث، الفتاوى، ص٤٢.

(٥) الشيخ محمد بن عبدالوهاب، المرجع السابق، ص٤٢.

(٦) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٧) سورة الجن، الآية: ١٨.

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾[1].

وهذا التوحيد هو النوع الثاني وهو التوحيد في الطلب والقصد، وهو الذي وقعت فيه الخصومة بين الأُمم ورسلهم، من لدن نوح إلى محمد، عليه الصلاة والسلام، وهو الذي أَرسلَ الله الرسل من أَجله، وأَنزلَ الكتب، ومن أَجله خلق الله الجن والإنس، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[2].

وهذا النوع من التوحيد هو الذي سأبين أَهمية البدء به في الفقرة التالية.

□ **ثانياً: أَهمية البدء بالتوحيد:**

الدعوة إلى التوحيد هي غاية بعثة الرسل عليهم السلام، لذا كان كل واحد منهم يستفتح دعوته بقوله[3]: ﴿ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾[4].

فمن أَجله خلقَ الله الخلق وأَنزلَ الكتب وأَرسل الرسل[5] قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[6]. فدلَّت الآية على أَن التوحيد هو أَصل الدِّين، الذي

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١/ ١٥٤.

(٤) سورة الأعراف، الآيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥.

(٥) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١/ ١٥٤.

(٦) سورة النحل، الآية: ٣٦.

لايقبل الله من الأولين والآخرين ديناً سواه[1] فرسل الله عليهم السلام كلهم متفقون على البدء بالدعوة إليه وإن اختلفت شرائعهم[2] ذلك أنه أوجب حقوق الخالق على المخلوقين، قال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ﴾[3].

وحين تأملي للسيرة العطرة للرسول الكريم ﷺ تبيَّن لي أهميّة البدء بالدعوة إلى هذا النوع من التوحيد من وجوه:

الأول: بقاؤه ﷺ ما يقارب نصف عمره بعد الرسالة يدعو إلى هذا التوحيد، ويركز عليه دون غيره، يدل على ذلك مارواه الإمام مسلم عن أبي أمامة قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت، وأنا في الجاهلية، أظن الناس على ضلالة. وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان. فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً فقعدت على راحلتي، فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جرآؤ عليه قومه. فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة فقلت له: ماأنت؟ قال: «**أنا نبي**» فقلت: ما نبي؟ قال: «**أرسلني الله**» فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلت بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لايُشرك به شيء...» الحديث[4]. وروى البخاري عن الزهري قال: أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول

---

(١) انظر: ابن تيمية ١/ ١٥٤.

(٢) انظر: ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٤/ ٢٠٢.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.,

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو ابن عبسة، (٦/ ٢٩٤، ١/ ٥٦٩).

الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبدالله بن أبي أمية، فقال: «**أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله.. الحديث**»[1].

وروى الإمام أحمد، أن النبي ﷺ كان يطوف على الناس بذي المجاز، يقول لهم: «ياأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا»[2] بل مما يؤكِّد أهمية البداءة بالتوحيد استمراره ﷺ طيلة زمن الرسالة يبدأ بعرض التوحيد أولاً، يدل على ذلك قصة إسلام ضمام بن ثعلبة، ووفد عبدالقيس، ومكاتبته ﷺ للملوك، يدعوهم إلى التوحيد[3]. ثم إرشاده لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن، أن يبدأ بالدعوة إلى التوحيد. ونبّه الإمام ابن حجر إلى الحكمة في ذلك فقال: «ووقعت البداءة بهما ـ أي الشهادتين ـ لأنهما أصل الدِّين، الذي لايصح شيء إلاَّ بهما»[4].

الثاني: ولاؤه ﷺ وبراؤه من أجله، فقد أحبّ قوماً وهم من أبعد الناس عنه نسباً، من أجل التوحيد، وأبغض آخرين وهم من أقرب الناس إليه نسباً، من أجله، مقتدياً في ذلك بأبيه الخليل عليه السلام، إذْ يقول الله عنه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿**إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ (٦٨/ ٤٤٩٤) ٤/ ١٧٨٨، ١٧٨٩.

(٢) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد ح (١٦٠٠٣) ٣/ ٦٤٧.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١٥/ ٣٠١.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ٤/ ١٢٧.

ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾(١).

فموالاة الله بعبادته والبراءة من كل معبود سواه، هو معنى لا إله إلاّ الله(٢) قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۞ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ۞ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(٣). قال المفسرون : هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) لايزال في ذريته من يعبد الله ويوحده، والمعنى جعل هذه الموالاة لله، والبراءة من كل معبود سواه، كلمة باقية في ذرية إبراهيم، يتوارثها الأَنبياء وأَتباعهم(٤)، ومنهم نبينا محمد ﷺ، فقد كان يوالي ويعادي من أَجل هذه الكلمة مهتديًا بقول الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ ﴾(٥). فدلَّت الآية على أَنَّه لايوجد مؤمن يواد المحادين لله ورسوله ذلك أَن نفس الإيمان ينافي موادته كما ينفي أَحد الضدين الآخر فإِذا وجد الإيمان انتفى ضده، وهو موالاة أَعداء الله، فإِذا كان الرجل يوالي أَعداء الله بقلبه، كان ذلك دليلاً على أَن قلبه ليس فيه الإِيمان الواجب(٦) ومما يدل على هذا الولاء والبراء من سيرته العطرة عليه الصلاة والسلام هجرته من مكة - دار الشرك - إلى المدينة دار الإسلام،فقد كانت الهجرة واجبة عليه وعلى

(١) سورة الممتحنة، الآية: ٤.

(٢) انظر: محمد بن عبدالله الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ١/ ١٣٢.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٢٨.

(٤) انظر: الطبري، جامع البيان ١٣/ ٦٣، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ١٢٦، وانظر: الشوكاني، فتح القدير ٤/ ٥٥٣.

(٥) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

(٦) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٧/ ١٧.

أَصحابـه من أَجل نصرة الإسلام ومـوالاة أَهله(١) فهاجر ﷺ امتثـالاً لأَمر ربه، وبراءة من الشرك وأَهله وحينما نهى عن الاستغفـار للمشركين في قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾(٢). أي ماينبغي لهم ذلك وهو خبر بمعنى النهي(٣). فانتهى ﷺ عن الاستغفـار لعمه أَبي طالب، وتبـرأ من الشرك وأَهله.

وحينما نُهـي عن الصلاة علـى أَهل النفاق في قـوله تعـالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾(٤). انتهى وتبرأ منهم، لأَنهم فقدوا أَصل الإِيمان وهو التوحيد.

وكما كان بـراؤه من أجل التوحيد، فقد كان ولاؤه ﷺ مـن أجل التوحيد، مهتديًا بقول الله تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾(٥).

وقوله سبحـانه: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾(٦).

وقد جـاءتِ السنة تبين محبته ﷺ لأهل التـوحيد، فقد صـرَّح ﷺ بذلك لأحدهم يوم خيبـر، حيث قال: «**لأعطين هذه الرايـة غداً رجلاً يفتح الله على**

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٦/ ١٢٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٣) ابن حجر، ٩/ ٤٥٨.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٧١.

(٦) سورة المائدة، الآية: ٥٥.

يديه، يحب الله ورسولـه ويحبه الله ورسوله»[1]. فهذا الولاء منه والبراء، أصل في التوحيد مما يدل على أهميّة البداءة به.

الثالث: عدم تنـازله ﷺ عن شـيء في التوحيـد، فحينما عرضـت عليه قريش أَن يعبـد آلهتهم سنة ويعبدون إلهـه سنة[2] نزلت المفـاصلة في قـوله تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۞ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۞ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۞ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾[3].

وحينما طلبـوا منه أَن يتركهم وآلهتهم، ويتـركوه وإلهه لـم يقبل ﷺ وكان جوابه: قولوا لا إله إلا الله[4].

وحينمـا طلب منـه وفد ثقيـف أَن يدع لهم الطـاغيـة ـ الـلات ــ بعض الوقت لم يقبل ﷺ ولـم يأذن لهم في التوحيد شيئاً ممـا دلَّ على أَهمية البَدء به[5].

---

(١) البخـاري، صحيح البخـاري، كتـاب المغـازي بـاب غـزوة خيبـر، (ك٦٧ ح٣٩٧٣) ٤/ ١٥٤٢.

(٢) انظر: الواحدي، أسباب النزول ص٣٧٨ وانظر: ابن حجر، فتح الباري ٩/ ٧٥٨.

(٣) سورة الكافرون.

(٤) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٤/ ١٥٠.

(٥) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٤/ ١٣٧.

المبحث الثاني

الشريعـــــة

- أَولاً : مفهوم الشريعة :

١ ـ الشريعة في اللغة :

مشرعة الماء، وهو مورد الشاربة.

والشريعة: ما شرع الله لعباده من الدِّين، وقد شرع لهم يشرع شرعاً، أي سن. والشارع: الطريق الأعظم، وشرعت في هذا الأمر شروعاً أي خضت[١].

وفي المفردات: الشرع نهج الطريق الواضح.

يُقال: شرعت، والشرع مصدر، ثم جعل اسماً للطريق النهج فقيل له شرعٌ وشريعة واستعير ذلك للطريقة الإلهية شرعة ومنهاجاً[٢].

٢ ـ الشريعة في الاصطلاح :

عندما تطلق الشريعة في الاصطلاح يراد بها معنيان:

الأول: عام، وذلك إذا أطلقت مفردة، فإنَّها تشمل كل ماشرع الله من الدين، عقائد وأحكاماً قال تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾[٣] ومما وصَّى به نوحاً التوحيد، والفضائل، وأُصول الشرائع[٤].

---

(١) انظر: الجوهري، الصحاح ٣/ ١٢٣٦، مادة شرع.

(٢) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات ص٢٥٨.

(٣) سورة الشورى ، الآية: ١٣.

(٤) انظر: الشوكاني، فتح القدير ٤/ ٥٢٩.

وقد عـرف الشريعة بهـذا القول الدكتـور محمد بن صالـح عثمان حيث يقول: الشـريعة: «هي النظم التي شـرعها الله تعالـى، أو شرع أصولهـا، ليأخذ الإنسان بهـا نفسه، في علاقته بـربه، وعلاقته بـأخيه المسلم، وعلاقته بـأخيه الإنسان، وعلاقته بالحياة»[١].

وعرفها آخر بقوله:

الشريعة: ما شرعه الله لعباده، من العقائد والأحكام، في شؤون الحياة كلها[٢].

الثاني: خـاص، ويقصد بها مـا شرع الله من الأحكام والأوامـر والنواهي، قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٣].

ومعلوم أن المقصـود في الآية، الشرائع دون العقائد، لأن العقـائد واحدة في كل أمة، وعلى لسان كل نبي، وقد خصت كل أمة بشرعة تناسبها[٤].

وقد عرف الشـريعة بهذا القول الإمـام القرطبي حيث يقول: الشـريعة في الاصطلاح الشـرعي هي: الأحكام التي شرعهـا الله لعباده، سواء أكـان تشريع هذه الأحكام بالقرآن، أم بسنة النبي ﷺ، من قولٍ أو فعلٍ أو تقرير[٥].

---

(١) المجلس العلمـي، وجـوب تطبيق الشـريعـة الإسلاميـة والشبهـات التي تثـار حـول تطبيقها ص١٤٦.

(٢) المرجع السابق ص١٨٨.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨.

(٤) انظر: الطبري، جـامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٤/ ٢٧٠، وانظـر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٦٦، وانظر: الشوكاني، فتح القدير ٢/ ٤٨.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦/ ١٧٣.

وعرَّفها الـدكتور ناصر العقل بقـوله: الشريعة في الاصطلاح: فـروع الدِّين وأحكامه الفقهية[1].

وهذا المعنى للشـريعة هو الذي أعني فـي بيان التدرج في الدعـوة إليه، في هذا البحث.

□ ثانياً : صلة الشريعة بالتوحيد :

هناك تلازم بين الشريعـة والتوحيد، فالتوحيد مستلزم للشـريعة، والشريعة متضمنة للتوحيد[2] فالإيمان يطلق أحياناً ويُراد بـه كلٌّ من التوحيد والشريعة، يدل على ذلك قوله ﷺ لوفد عبد القيـس: «آمركم بالإيمان بالله وحده»، قال: «أتدرون ماالإيمـان بالله وحده»؟ قالوا: الله ورسولـه أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتـاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا مـن المغنم الخمس...»[3]. ففسّـر عليه الصـلاة والسلام الإيمـان بالتوحيـد والشرائع[4] ويُطلق الإسلام ويُـراد به التوحيد والشريعـة، يدل على ذلك حديث جبريل: «قال ماالإسلام، قال: الإسلام أن تعبـد الله ولاتشرك به

---

(١) د. ناصر بن عبدالكريم العقل، التلازم بين العقيدة والشريعة ص١١.

(٢) انظـر: ابن تيميـة، كتاب الإيمـان ١/ ٣٠، وانظـر: ابن حجـر، فتح البـاري ١/ ١٥٨، وانظر: د. ناصر العقل، التلازم بين العقيدة والشريعة ص١٤.

(٣) البخـاري صحيح البخـاري، كتـاب الإيمـان، بـاب أداء الخمـس من الإيمـان (كتاب٢/ ٥٣).

(٤) انظر: د. ناصر العقل، التلازم بين العقيدة والشريعة ص١٦.

شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدِّي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان..»[1].

ففسَّر الإسلام أيضاً بالتوحيد والأعمال المشروعة من صلاة وزكاة وصيام.

فالتوحيد هو الركن الأساسي، والأصل، والشريعة تبع له وثمرة من ثمراته، يدل على ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: **«بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت[2]»** فالتوحيد مثاله أوسط الأعمدة في بيت الشعر، وبقية الأركان تمثل الشريعة، فمادام الأوسط قائماً فالبيت موجود، ولو سقط منها ماسقط من الأركان، فإذا سقط الأوسط سقط مسمى البيت، فالبيت بالنظر إلى مجموعه شيء واحد، وبالنظر إلى أفراده أشياء، وأيضاً بالنظر إلى أسه وأركانه، الأُس هي الأصل، والأركان تبع وتكملة[3]، فالأُس هو التوحيد وهو الأصل، والأركان هي الشريعة.

---

(1) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى (ك1ح5) 1/ 39.

(2) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان باب الإيمان وقول النبي ﷺ: بُني الإسلام على خمس (ك2ح8) 1/ 12.

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري 1/ 72، 73.

فأفضل شُعَب الإيمـان: التوحيد، وهو الأَصل والأَساس، وبـاقي الأَعمال فروع وثمـرات، لاتصح إلاَّ بعـد صحته[1] يدل علـى ذلك قولـه عليه الصـلاة والسلام: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأَفضلها قول لا إله إلاَّ الله وأَدناها إماطة الأَذى عن الطريق.. الحديث»[2]. فصحة التوحيد شرط في قبـول تلك العبادات، بـل إن تلك الأَعمـال لاتسمى عبـادة، إلاَّ مع التوحيـد، كما أَن الصلاة لا تسمـى صلاة، إلاَّ مع الطهارة، فإذا دخل الشـرك في العبادة فسدت، كالحـدث إذا دخل في الطهارة[3] قال تعالى: ﴿مَاكَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ﴾[4] وقال تعـالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[5] ففي هذه الآيـة، إشارة إلى أَن سبب بطـلان العمل الكفر[6] والعمل الـذي يقبلـه الله هو مـا يصـدر من الموحِّـدين[7] ومما سبق

---

(١) انظـر: النووي، صحيح مسلـم، شرح النـووي، ٢/ ٤ وانظر: السعـدي، بهجة قلـوب الأَبرار وقرة عيون الأَخيار ص١٩٩، ٢٠٠.

(٢) مسلم، صحيـح مسلم، كتـاب الإيمـان بـاب بيـان عـدد شعـب الإيمـان وأَفضلهـا وأَدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان (ك١ح٣٥) (١/ ٦٣).

(٣) الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٢/ ١٧.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٧.

(٥) سورة الفرقان، الآية: ٢٣.

(٦) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣/ ٢٢.

(٧) انظر: السعدي تيسير الكريم الرحمن، ٥/ ٤٧٢.

تتبين صلة الشريعة بالتوحيد من وجوه:

١ ـ يشملهما مسمى الإيمان والإسلام والدين.

٢ ـ أحدهما مستلزم والآخر متضمن.

٣ ـ التوحيد هو الأصل والأساس، والشريعة فرع وثمرة.

٤ ـ صحة التوحيد شرط في قبول الشريعة.

□ **ثالثاً: التدرج في الدعوة إلى الشريعة :**

اقتضت حكمة البارئ جلَّ وعلا في دعـوة عباده إلى الشريعة ، أن يتدرج معهم علـى وجه لايشق عليهم، مـراعياً البـدء بـالأهم فـالمهم[1]، من هذه الشريعـة أركان الإسلام، فقـد تدرج الشـارع في الدعـوة إليها بدءاً بـالأهم ثم المهم، فافترض عليهم أول شيء بعد التـوحيد الصلاة، وذلك لعظيم أهميتها، يدل على ذلك مارواه البخاري في كتـاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في حديث الإسراء الطويـل وفيه يقول: قال النبي ﷺ: «**ففرض الله على أمتي خمسين صلاة، فـرجعت بذلك، حتى مـررت على موسى، فقال: مـافرض الله على أمتـك؟ قلت: فـرض خمسين صلاة، قـال: ارجع إلـى ربك، فـإن أمتك لاتطيق ذلـك، فراجعتـه فـوضع شطـرهـا، فرجعـت إلى مـوسى، قلـت: وضع شطـرها، فقـال: راجـع ربك، فإن أمتـك لاتطيق، فـراجعته فـوضـع شطرهـا، فرجعت إليه، فقال: ارجع إلى ربك، فـإن أمتك لاتطيق ذلك، فراجعته، فقال: هي خمس، وهي خمسون، لايبدل القول لدي... الحديث**»[2].

(١) انظر: ابن سعدي، المرجع السابق، ١/ ٢٧٢.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، بـاب كيف فرضت الصلوات في الإسراء (ك٨ ح٣٤٢) ١/ ١٣٥، ١٣٦.

فكان فرض الصلاة متقدماً قبل بقية أركان الشريعة، يدل على ذلك حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث قالت: «فرضت الصلاة ركعتين، ثم هاجر النبي ﷺ، ففرضت أربعاً، وتركت صلاة السفر على الأولى»[1]. ففي قولها ثم هاجر، دليل على تقدم فرض الصلاة، وأنها فرضت قبل هجرته ﷺ مما يدل على مزيتها على سائر الفرائض والعبادات يؤكد هذه الأهمية، أنه ﷺ كان يبايع عليها بعد التوحيد، يدل على ذلك ماروواه البخاري، عن جرير بن عبدالله قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم[2] . يقول ابن حجر مبيناً البدء بالصلاة بعد التوحيد: «وكان النبي ﷺ أول مايشترط بعد التوحيد، إقامة الصلاة، لأنها رأس العبادات البدنية، ثم أداء الزكاة، لأنها رأس العبادات المالية، ثم يعلم كل قوم ماحاجتهم إليه أمس»[3].

وكما كان ﷺ يشترط بعد التوحيد الصلاة قبل غيرها، فقد كان ﷺ يقدمها على غيرها في فعله، يدل على ذلك حديث عتبان رضي الله عنه قال: «أَصابني في بصري بعض الشيء، فبعثت إلى رسول الله ﷺ، إنِّي أُحب أن تأتيني فتصلي في منزلي، فأتخذه مصلى، قال: فأتى النبي ﷺ ومن شاء

---

(١) المرجع السابق (٨/ ٣٤٣) ١/ ١٣٧.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب البيعة على إقام الصلاة (ك١٣ ح٥٠١) ١/ ١٩٦.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ٢/ ١٨٨.

الله من أصحابه...»[1]. وقد فطن الإمام النووي لفائدة عظيمة في هذا الحديث الكريم حيث يقول: «وفيه البداءة بالأهم فالأهم، فإنه ﷺ في حديث عتبان هذا، بدأ أول قدومه بالصلاة ثم أكل»[2]. فدل هذا العمل النبوي الكريم، على أهمية التدرج، ومراعاة البدء بالأهم فالأهم، في الدعوة إلى الشريعة، وقد نبَّه الإمام القرطبي إلى هذا التدرج الحكيم، فقال: «قال ابن عباس، بعث النبي ﷺ بشهادة أن لا إله إلاَّ الله، فلما صدقوه فيها، زادهم الصلاة، فلما صدقوه زادهم الزكاة، فلما صدقوه، زادهم الصيام، فلما صدقوه، زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم»[3].

يدل على ذلك حديث ابن عباس رضي الله عنهما حيث يقول: «لمَّا بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن، قال له: «إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ماتدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم، فإذا صلوا، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فترد على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوقّ كرائم أموال الناس»[4]. فقرر ﷺ في هذا الحديث التدرج في الدعوة إلى هذه الأركان، والبدء بالأهم

---

(١) مسلم، صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، (ك١ ح٣٣) ١/ ٦١.

(٢) النووي، صحيح مسلم، شرح النووي، ٢/ ٢٤٥.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٦/ ٢٦٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (ك١٠٠ ح٦٩٣٧) ٦/ ٢٦٨٥.

فالمهم، وإلى هـذا يشير النووي بقولـه: «ولأنه ﷺ رتب ذلك في الـدعاء إلى الإسلام، وبـدأ بالأهم، ألا تـراه بدأ بـالصلاة قبل الـزكاة»[1]. فدل على أهمية مراعاة التدرج في الدعوة والتعليم والبدء بالأهم فالأهم[2].

وكما تدرج الشـارع في الدعوة إلى أركـان الإسلام، مراعياً بالبـدء بالأهم ثم المهم، فقـد راعى هـذا الجانب فـي الدعـوة إلى أخلاق الإسـلام، حيث ابتدأ بالدعـوة إلى أصول الأخلاق، من الصدق والعدل وأداء الأمـانة والعفة[3] مراعياً في ذلك جانب التدرج في الوجوب والعلو[4]. حيث حاجة الفرد إليها أمس، وأداؤهـا عليه أوجـب، وقد جـاءت الأدلَّة تـؤكد اهتمـامه ﷺ في هـذا الجانب، في عهد مبكر من دعوتـه، من ذلك مارواه البخاري، عن ابن شهاب عن عبيدالله بـن عبدالله، أن عبدالله بن عبـاس أخبره، أن أبا سفيـان أخبره: أن هرقـل أرسل إليه، فقـال: فما يأمـركم يعني النبـي ﷺ فقال: يأمـرنا بـالصلاة والصدقة، والعفـاف والصلة[5] ، فدل هـذا على أن هذه حالـه ﷺ مع الناس في ابتداء دعوته[6]. يؤيد هذا حديث جعفـر بن أبي طالب رضي الله عنه مع

---

(١) النووي، شرح صحيح مسلم ١/ ١٩٨.

(٢) انظر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كتاب التوحيد، ص٣٥.

(٣) انظـر: د. محمـد عبـدالله دراز، الأخـلاق فـي القـرآن ص٨٨ وانظر: د. أحمـد عبـدالـرحمن إبـراهيم، الفضـائل الخلقيـة في الإسـلام ص١١٩، وانظـر: د. أحمـد غلوش، الدعوة الإسلامية ص٢٨.

(٤) انظر د. أحمد إبراهيم الفضائل الخلقية في الإسلام، ص١٣٨، ١٣٩.

(٥) البخاري، صحيـح البخاري، كتاب الأدب، بـاب صلة المرأة أمهـا ولها زوج (ك٨١ ح٥٦٣٥) ٥/ ٢٢٣٠.

(٦) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١/ ٦٤.

النجاشي، وفيه قوله: «فأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء...»[1] فلما هاجر ﷺ وطبق المسلمون الإسلام وامتد ميدان الدعوة واتسعت البيئة أَصَّل الرسول ﷺ الدعوة إلى ركائز أخرى في أخلاق المسلم من التآخي والتراحم والتعاون وترك التباغض والتحاسد حيث حاجة الأمة المسلمة إلى هذه الأخلاق أشد ممتثلاً قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾[3].

فكان عليه الصلاة والسلام يدعوهم إلى هذا التآخي والمودة، وينهاهم عن سيء الأَخلاق، يدل على ذلك مارواه البخاري عن أَبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إيَّاكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولاتحسسوا ولاتجسسوا، ولاتحاسدوا، ولاتدابروا، ولاتباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا**»[4].

يبين ابن حجر المقصود بهذه الأخوة بقوله: «قال القرطبي : المعنى كونوا كإخوان النسب، في الشفقة والرحمة، والمحبة، والمواساة، والمعاونة والنصيحة»[5]. وكان ﷺ يدعو إلى هذه الفضائل بالثناء على صاحب الخلق

---

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد ح(١٧٣٩) ١/ ٢٥٠.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأَدب، باب النهي عن التحاسد والتدابر، (ك٨١ ح٥٧١٧) ٥/ ٤٢٥٣.

(٥) ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ١٠٥.

الحسن فقد قال ﷺ لأشجّ عبدالقيس: «إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة»[1] فبيَّن مافيه من الأخلاق الحسنة، وأثنى عليه بهما مبيناً أن الله يحبهما، فالله يحب من عباده ماجبلهم عليه من خصال الخير[2] وفي ثنائه ﷺ على هذا الرجل، دعوة له ولغيره إلى الأخلاق الحسنة، التي يحبها الله، والتي فيها خير للمسلمين وصلاح لهم.

وكما كان ﷺ يحث أصحابه، على التخلق بكماليات الأخلاق، فقد كان يحذرهم من الأخلاق السيئة، التي تفضي بهم إلى التشبُّه بالمنافقين، والتخلق بأخلاقهم[3] ويستفاد من هذا، أنه ﷺ كان يركز في هذا العهد، على الدعوة إلى كماليات الأخلاق، التي فيها خير وصلاح للأُمة الإسلامية.



(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدِّين، والدعاء إليه، والسؤال عنه، وحفظه، وتبليغه من لم يبلغه، (ك١ ح٥٢) ١/ ٤٨.

(٢) انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ٣/ ٦٠٨.

(٣) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ٢/ ٤٧.



الفصل الثاني

التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأَول : القول

المبحث الثاني: السرايا والغزوات

المبحث الثالث: الكتب والرسائل

المبحث الرابع: الوفود والبعوث



تمهيد

بينت في الفصل الأَول التدرُّج في موضوع الدعوة فذكرت التوحيد وأَهمية البدء به، ثم عقبت ببيان الشريعة وصلتها بالتوحيد وأَهمية التدرج في الدعوة إليها. وفي هذا الفصل سوف أُبين الوسيلة النبوية التي من خلالها تم عرض هذا الموضوع فلكل موضوع فكرة ووسيلة، والداعية له وسائله العديدة في إيصال دعوته وتبليغها للناس، ولكل وسيلة زمانها ومكانها الملائم لها. فمن الوسائل مايصلح لزمان ولا يصلح لزمان آخر، وقد تكون هذه الوسيلة مثمرة، لكنها في وقت آخر تصبح مثار سخرية واستهزاء[1].

وبعد تأملي لسيرته ﷺ العطرة تبينت أن وسائله عليه الصلاة والسلام في تبليغ الدعوة وحمايتها قد جاءت متدرجة كأنها حلقات في سلسلة، كل حلقة تقود إلى التي تليها فأَظهرت لنا هذه الوسائل طبيعة التدرج في السير خطوة خطوة فبدأ ﷺ بوسيلة القول واستمرت هذه الوسيلة طيلة العهد المكي ثم لما هاجر ﷺ حيث الجماعة المسلمة وأَقام دولة الإسلام اتخذ وسيلة لحماية هذه الجماعة وتلك الدولة وهي السرايا والغزوات اتخذها ﷺ للدفاع عن الدعوة وحمايتها من المعتدين ثم بعد أَن هادن العدو في الحديبية اتخذ وسيلة بلاغية وهي الكتب والرسائل اتخذها لتبليغ الدعوة إلى العالم الخارجي ثم كانت آخر وسائله ﷺ بعث البعوث ليقوموا بمهمة البلاغ والتعليم، وفيما يلي التفصيل في هذه الوسائل.

---

(١) د. زيد بن عبدالكريم الزيد، الحكمة في الدعوة إلى الله ص٨٩.

المبحث الأول

القـــــول

تبرز أهمية وسيلة القول، من حيث إنَّها وسيلة فطرية، متوفرة لدى الناس، إلاَّ من شذّ بسبب خرس أو نحوه[1] ويبرز القول وسيلة دعوية من حيث اهتمام القرآن الكريم به فقد ورد لفظ: «قل» في أكثر من ثلاثمائة آية[2] من ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[3] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾[4]. ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾[5] ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾[6]. ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[7] ومامن رسول، إلاَّ قال لقومه شيئاً، وبيَّن لهم، ولذا اقتضت حكمة الحكيم العليم، أن يبعث كل رسولٍ بلغة قومه[8] قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[9] فالبيان بالقول هو وسيلة الرسل عليهم السلام في دعوتهم[10] وهو وسيلة النبي ﷺ الأصلية

---

(١) د. محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة ص٣١١.

(٢) انظر: د. البيانوني، ص٣١١.

(٣) سورة الإخلاص، الآية: ١.

(٤) سورة الكافرون، الآية: ١.

(٥) سورة النساء، الآية: ٦٣.

(٦) سورة طه، الآية: ٤٥.

(٧) سورة فصلت، الآية: ٣٣.

(٨) انظر: د. البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص٣١١.

(٩) سورة إبراهيم، الآية: ٤.

(١٠) انظر: د. عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة ص٤٧١.

والأَساسية، في عرض دعوته في العهد المكي[1] وحين تأملي لسيرته العطرة ﷺ في هذا العهد، تبين لي مصداق ذلك، فقد كان ﷺ يعرض دعوته سراً بالقول، ثم لما نزل قوله تعالى ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾[2]. جهرَ ﷺ بالقول فقام خطيبا على جبل الصفا، ينذر قريشا ويدعوهم إلى الله[3] ودعا عليه الصلاة والسلام عمه أبا طالب قائلاً له: «أي عم! قل: لا إله إلاَّ الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»[4].

ومما يؤكد أن وسيلته ﷺ في هذا العهد القول حديث إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه فقد روى مسلم عن أبي أمامة قال، قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية، أظن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان. فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي. فقدمت عليه. فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً، جراء عليه قومه. فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة. فقلت له ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**» فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله» فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان وأن يوحد الله لايشرك به شيء...[5] فقوله: «فسمعت برجل بمكة يخبر أخباراً» هذا الحوار بين رسول الله ﷺ، وبين هذا

---

(١) انظر: د. حسن عيسى عبدالظاهر، فصول في الدعوة الإسلامية ص٨٧.

(٢) سورة الحجر، الآية: ٩٤.

(٣) انظر: مسفر البواردي، أسس الدعوة في سورة إبراهيم عليه السلام ص٨٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿**إنك لاتهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾ (ك٦٨ ح٤٤٩٤) ٤/ ١٧٨٨، ١٧٨٩.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب إسلام عمرو بن عبسة (ك٦ ح٢٩٤) ١/ ٥٦٩.

الرجل يبين أن وسيلتـه عليه الصلاة والسلام في دعوة هذا الـرجل هي القول، فلم يتجاوز عليه الصلاة والسلام القول إلى سـواه يدل على ذلك قوله للرجل حينمـا قال إني متبعـك: «إنك لاتستطيع يـومك هـذا ألا ترى حـالي وحـال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك. فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني» فالقول هو وسيلته ﷺ في الـدعوة في هـذا العهد، من بدايتـه إلى نهايته، فحينمـا خرج إلى الطائف دعاهم إلى الله بالقـول، يقول ابن إسحاق: «لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف عمد إلى نفر ثقيف... فدعاهم إلى الله، وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه..»[1] وحينما أمره الله بعرض نفسـه على القبائل، كان يـدعوهم بالقول، يقـول ابن إسحاق: «فكـان رسول الله ﷺ على ذلـك من أمـره، كلما اجتمع لـه النـاس بالمـوسم أتـاهم يـدعو القبـائل إلى الإسـلام، ويعـرض عليهم نفسـه، وما جـاء بـه من الهدى والرحمة...»[2].

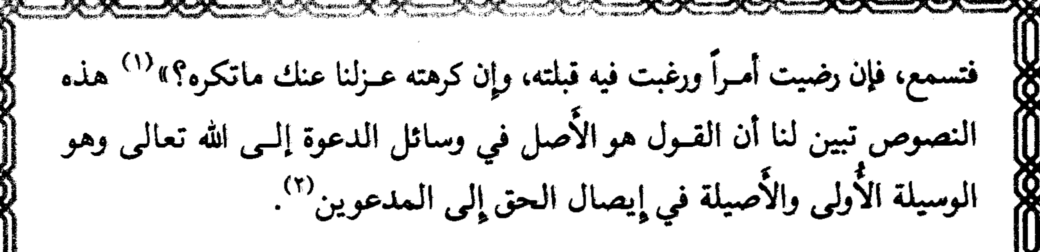
وبالقـول استطاع ﷺ إقنـاع وفد الأنصار بـدعوة الحق، حيـن التقى بهم فقد قـال لهم كمـا يروي ابن إسحـاق: «أفلا تجلسـون أكلمكم؟ قالـوا: بلى فجلسوا معه، فـدعاهم إلى الله عز وجل، وعرض عليهـم الإسلام، وتلا عليهم القرآن»[3]. وكان القـول وسيلة مبعـوثيه ﷺ، في إقنـاع مدعـويهم، فقـد قال مصعب بن عمير وهو مبعوثه ﷺ إلى يثرب لزعيمي بني عبدالأشهل: «أو تقعد

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٤٧، ٤٨.

(٢) المرجع السابق، ٢/ ٥٢.

(٣) المرجع السابق ٢/ ٥٤.



فتسمع، فإن رضيت أمـراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عـزلنا عنك ماتكره؟»[1] هذه النصوص تبين لنا أن القـول هو الأَصل في وسائل الدعوة إلـى الله تعالى وهو الوسيلة الأُولى والأَصيلة في إيصال الحق إلى المدعوين[2].

❑ ❑ ❑

---

(١) ابن هشام، المرجع السابق ٢/ ٥٩.

(٢) انظر: د. زيـدان أصول الـدعوة ص٤٧١، وانظـر: وزارة الأوقاف والشـؤون الإسلاميـة الموسوعة الفقهية ٢٠/ ٣٣٢، ٣٣٣.

المبحث الثاني

السرايا والغزوات

بعد أن أدّى القول دوره وسيلة بلاغية في العهد المكي، قامت به الحجة على المشركين، شرعَ الله الهجرة لنبيه ﷺ، ثم شرعَ له القتال بالسيف وأنزلَ الحديد لينصر به الحق ويقيم به العدل، وليكون رادعاً لكل من أبى الحق، ولم يقبل شرع الله[1] قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾[2]. فبيَّن أنه أنزل الكتاب وأنزل العدل، ومابه يعرف العدل، ليقوم الناس بالقسط، وأنزل الحديد، فمن خرج عن الكتاب والميزان قوتل بالحديد[3] والمقصود به آلات الجهاد، كالسيف والرمح والنصل والدرع، ونحو ذلك من طائرات ومدافع ودبابات[4] فأمر الله ورسوله ﷺ باتخاذ كافة أسباب القوة[5] فقال سبحانه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ وقد فقه ﷺ هذه التوجيهات الإلهية الكريمة، فاتخذ السرايا والغزوات، لتكون وسيلة دعوية هامة، تقوم على

---

(١) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٨/ ١٥٧، ٣٥/ ٣٦.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٥/ ٣٦٦.

(٤) انظر: ابن تيمية ١٢/ ١٣٥، وانظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٣/ ١٨٣.

(٥) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ١٠/ ٦١.

(٦) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

حماية الدعوة، من اعتداء المعتدين، لما تحدثه من أثر كبير في إرهاب العدو، وتحييده وزعزعة ثقته[1] فغزا ﷺ تسع عشرة غزوة يدل على ذلك ماروواه البخاري عن أبي إسحاق كنت إلى جنب زيد بن أرقم، فقيل له: «كم غزا النبي ﷺ من غزوة؟ قال: تسع عشرة، قيل: كم غزوت أنت معه؟ قال: سبع عشرة...»[2]. فكانت أولى هذه الغزوات غزوة الأبواء، حيث خرج ﷺ يريد قريشاً فوادع بني ضمرة بن بكر بن عبد مناة من كنانة، وادعه رئيسهم مجدي ابن عمرو الضمري[3] ثم غزا ﷺ غزوة بواط، ووادع فيها بني مدلج من كنانة[4] وأرسل ﷺ عدداً من السرايا، منها سرية عبدالله بن جحش، التي غنمت عيراً لقريش، بعد ماقتلت بعض أهلها، وأسرت الباقين [5] وقد أدت هذه الغزوات والسرايا دوراً كبيراً في إرهاب العدو وتحييده.

ثم كانت بعد ذلك غزوة بدر الكبرى، وأحد، والأحزاب، وقد كان لهذه الغزوات أثر كبير في دفع الهجوم عن دار الهجرة، ومنع اعتداء المعتدين ثم جاءت غزوات الحديبية وخيبر والفتح وحنين والسرايا المزامنة لها فكانت وسائل في إلزام قريش واليهود والعرب الخضوع للقيادة الإسلامية، ودخول كثير من العرب في الإسلام لما رأوا من نصرة الله لنبيه ﷺ وإعزاز دينه[6] ثم

---

(١) انظر: د. محمد بن مخلف المخلف، الحرب النفسية، ص٣٠٤.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة العشيرة، أو العسيرة، (ك٦٧ ح٣٧٣٣) ٤/ ١٤٥٣.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ١٧٠، ١٧١، وانظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٤.

(٤) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ١٧٦، ١٧٧، وانظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٤.

(٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٤.

(٦) انظر: د. محمد أبو شهبة، السيرة النبوية ٤٧١.

جاءت بعد غزوة تبوك السرايا المزامنة لها لتكون وسيلة في بسط نفوذ المسلمين على جزيرة العرب، وإظهار قوة الإسلام وأهله، وإبطال كيد الذين يتربصون بالإسلام الدوائر[1] وقد أشار ابن حجر إلى دور هذه السرايا والغزوات في نشر الدين، ودحض الكفر فقال: «قال ابن دقيق العيد: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال، التي هي وسائل، لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه»[2].

إضافة إلى ذلك كله فقد كانت تلك السرايا والغزوات بمجموعها وسيلة دعوية مهمة لما تحدثه من أثر في نفوس الأسرى، الذين يمن عليهم ﷺ، فيكون لحسن تعامله معهم وعظيم منه عليهم عظيم الأثر في دخولهم الإسلام[3] وهي وسيلة دعوية لما تحدثه من تساؤل لدى تلك القبائل العربية المنتشرة، حول الدعوة الجديدة وقيادتها، فيكون نتيجة هذا التساؤل معرفة الإسلام، والدخول فيه[4].

---

(١) انظر: صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٤١٢.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٧/ ٨٠.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٤٢١.

(٤) انظر: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم ص٧٨.

المبحث الثالث

الكتب والرسائل

بعد أن أدت تلك السرايا والغزوات دوراً هاماً في إظهار قوة المسلمين، وإرهاب أَعدائهم، والقضاء على صناديد الكفر والطغيان، جاءت الكتب والرسائل بعد صلح الحديبية، لتؤدِّي دوراً في نقل الدعوة إلى خارج محيط العرب ولتكون وسيلة هامة لإسماع الناس نبأ الدعوة، وقد كان بعضهم يجهلها مثل كسرى، وبعضهم ينتظرها مثل قيصر(١) فجاءت هذه الوسيلة بعد أن أصبحت دولة الإسلام أقوى دولة في محيطها، بعد أن هادنتها قريش، لذا اشتملت بعض هذه الرسائل على التهديد بزوال الملك، لمن لم يدخل في الإسلام(٢).

جاء ذكر هذه الوسيلة في كثير من كتب السير والسنن(٣) وسأكتفي بما ورد في الصحيحين، فقد روى مسلم عن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار، يدعوهم إلى الله تعالى(٤).

---

(١) انظر: صالح الشامي، من معين السيرة ص٣٦٢.

(٢) انظر: محمد زكي الدين محمد قاسم، الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً، ص٢٨٦.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ١٨٨، وانظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ٣/ ٦٨٨، ٦٩٧.

(٤) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله (ك ٢٢ ح١٧٤٤) ٣/ ١٣٩٧.

فدل هذا الحديث على مكاتبته ﷺ للكفَّار، واتخاذ الكتاب في دعوتهم إلى الإسلام[1] وفيما يلي نص كتابه ﷺ إلى هرقل، كما أورده البخاري: «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم: سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾»[2] فكان هذا الكتاب وأمثاله وسيلته ﷺ في دعوة هؤلاء القوم، وتبليغهم الإسلام، أشار إلى ذلك ابن حجر بقوله: «وفي الحديث، الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة»[3].

وروى البخاري أيضاً عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين يدفعه عظيم البحرين، إلى كسرى... الحديث»[4]. فدلت هذه النصوص على عمله ﷺ بالكتاب، واتخاذه وسيلة دعوية لتبليغ من لم تبلغهم الدعوة.

وقد اتخذ ﷺ كافة الأسباب المؤدية إلى نجاح هذه الوسيلة، فاختار

---

(١) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ١١٣.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدأ الوحي، باب كيف أوحي إلى رسول الله ﷺ (ك١ح٧) ١/ ٧، ٨.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ٦/ ٢٠٩.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد، باب دعوة اليهود والنصارى، (ك٦ ح٢٧٨٠)، ٣/ ١٠٧٤.

دعاة مخصوصين، لحمل هذه الكتب يستطيعون بيان الدعوة، والدفاع عنها، حين يسألون[1] واختار ﷺ خاتماً من فضة[2] يختم به تلك الرسائل، حين علم أنهم لايقرؤون كتاباً إلاَّ مختوماً[3].

والذي يحسن ملاحظته، أن وسيلة الكتب والرسائل، أفادت كثيراً في تبليغ الدعوة[4]، فقد كانت سبباً في إسلام بعضٍ ممن كتب إليهم ﷺ[5]، فهي إذاً وسيلة دعوية صالحة لكل عصر، متى ماقام بها من يستطيع البيان والبلاغ، أفادت الدعوة الإسلامية كثيراً[6].

❑ ❑ ❑

---

(١) انظر: د. أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية ص٤٢٣.

(٢) فقد روى البخاري عن قتادة قال: سمعت أنساً رضي الله عنه يقول: لما أراد النبي ﷺ أن يكتب إلى الروم، قيل له: إنهم لايقرءون كتاباً إلاَّ أن يكون مختوماً، فاتخذ خاتماً من فضة، فكأني أنظر إلى بياضه في يده، ونقش فيه، محمد رسول الله» أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب دعوة اليهود والنصارى، وعلى ماتكون عليه، وما كتب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر، والدعوة قبل القتال ٣/ ١٠٧٤.

(٣) انظر: صالح أحمد الشامي، من معين السيرة، ص٣٥٩.

(٤) انظر: د. أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية ص٤٢٣.

(٥) انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ٣/ ٦٩٢ ـ ٦٩٦.

(٦) انظر: د. أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية ص٤٥٣. وانظر: د. خليفة عسال، معالم الدعوة الإسلامية في عهدها المدني، ص٣٨٥.

المبحث الرابع

الوفود والبعوث

مما لاشكّ فيه، أن وسيلتي السرايا والغزوات، والكتب والرسائل، كان لهما دور بارز في الدفاع عن الدعوة، وإلزام الناس بالانقياد لها، وتبليغ الدعوة إلى الآفاق، فكانت نتيجة ذلك، أن جاءت الوفود تبايع رسول الله ﷺ على الإسلام قال سبحانه: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۞ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۞ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾[1] فاتخذ ﷺ من هؤلاء الوفود، وسيلة تعليمية حيث بعثهم لتعليم أقوامهم، وتبليغهم أحكام الدين، كما بعث ﷺ طائفة من فقهاء أصحابه، للقيام بهذه المهمة، وفيما يلي بعض التفصيل حول وسيلة الوفود والبعوث.

☐ أولاً الوفود :

لَمَّا بعث النبي ﷺ، ودعا إلى الله، توقَّفَ غالب العرب عن اتباعه، وقالوا: ننظر مايصنع قومه، فلما فتح ﷺ مكة، وأسلمت قريش، تبعتهم العرب[2] يقول ابن إسحاق: «لما افتتح رسول الله ﷺ مكة، وفرغ من تبوك، وأسلمت ثقيف، وبايعت، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه»[3]. فعرف هذا العام ـ وهو العام التاسع من الهجرة، بعام الوفود، لكثرة من وفد إلى

---

(١) سورة النصر.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٧/ ٢١٦.

(٣) ابن كثير، السيرة النبوية ٤/ ٧٦.

النبي ﷺ، فكان من كمال حكمته ﷺ أن أَحسن استقبال تلك الوفود، وتلطف في دعوتهم، وعلَّمهم أُمور دينهم، ثم كلَّفهم دعوة من وراءهم، فكانوا وسيلته ﷺ في تبليغ أَقوامهم.

فقد كلف ﷺ وفد عبد القيس حفظ ما علمهم به من أمور الدين، وإخبار من وراءهم، فقال: «احفظوهن، وأَخبروا بهن من وراءكم»[1] وقوله: «من وراءكم» يشمل من جاءوا من عندهم، باعتبار المكان، ويشمل أولادهم وأحفادهم باعتبار الزمان[2]. وكانت وفادة هذا الوفد إلى النبي ﷺ للمرة الثانية سنة الوفود[3].

وقد أورد البخاري، قصة وفد بني تميم، وقدوم الأَشعريين وأَهل اليمن، وقصة وفد طيء، وحديث عدي بن حاتم. وكل هؤلاء وفدوا إلى النبي ﷺ في سنة الوفود[4] فأَحسن استقبالهم، وعلَّمهم، وبعثهم دعاة إلى أقوامهم وقد فصَّلت كتب السير في الوفود الذين وفدوا عليه ﷺ وكيف اتَّخذَ ﷺ من هؤلاء الوفود وسيلة بلاغية تعليمية.

مما يدل على ذلك ما رواه الإمام البخاري عن مالك بن الحويرث قال: أتيت النبي ﷺ في نفر من قومي، فأقمنا عنده عشرين ليلة، وكان

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (ك٢ح٥٣) ١/ ٢٩.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١/ ١٨٣.

(٣) انظر: ابن حجر (المرجع السابق) ٨/ ٤١٧.

(٤) انظر: ابن حجر، (المرجع السابق) ٨/ ٤٣٢.

رحيماً رفيقاً، فلما رأى شوقنا إلى أهالينا قال: «ارجعوافكونوا فيهم وعلموهم وصلوا، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم وليؤمكم أكبركم». ففي هذا الحديث دلالة صريحة على اتخاذه ﷺ هؤلاء الوفد وسيلة تعليمية حيث كلفهم بتعليم أهاليهم، فقال: «فكونوا فيهم وعلموهم».

□ ثانياً: البعوث

بعث ﷺ في السنة العاشرة من الهجرة عدداً من فقهاء أَصحابه، إلى شتى الجهات، وخاصة جنوب الجزيرة، للقيام بمهمة تعليم الناس أُمور دينهم، حيث أَصبحت الحاجة ماسة إلى معلمين ودعاة[1] من هؤلاء الدعاة، أَبو عبيدة بن الجراح ، فقد بعثه ﷺ مع وفد أَهل نجران كما روى ذلك . البخاري، عن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أَهل نجران إلى النبي ﷺ، فقالوا: ابعث لنا رجلاً أَميناً فقال: «لأَبعثنَّ إليكم رجلاً أَميناً حق أَمين» فاستشرف له الناس فبعث أَبا عبيدة بن الجراح[2] فبعثه ﷺ مبلغاً ومعلماً، يقول ابن حجر: «وفيه بعث الإمام الرجل الأَمين إلى أَهل الهدنة في مصلحة الإسلام»[3].

وروى البخاري أَيضاً، عن أَبي بردة قال: «بعث رسول الله ﷺ أَبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال:

---

(١) انظر: د. محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية، ص٤٧١.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران (ك٦٧ح٤١١٩) ١٥٩٢/٤.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٤٢٩.

واليمن مخلافان، ثم قال: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا... الحديث»[١]. فكانت مهمة كل واحد منهما تعليمية قضائية، وكذلك كانت مهمة معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن الدعوة والتعليم، فقد أوصاه ﷺ بقوله: «إنَّك تقدم على قوم من أَهل الكتاب، فليكن أول ماتدعوهم أن يوحدوا الله تعالى....»[٢]. فكانت وصيته ﷺ له أن يبدأهم بالدعوة إلى الإسلام فإن أسلموا، علّمهم الإسلام، واقتصرت بعثته على التعليم والهداية[٣].

فدلَّت هذه النصوص على أنه ﷺ اختار طائفة من فقهاء صحابته، وبعثهم ليكونوا وسيلة دعوية، تقوم بمهمة تعليم الناس أُمور دينهم[٤].

والذي ينبغي معرفته، أن السفر وبعث البعوث للقيام بمهمة الدعوة إلى الله، هي مسؤولية المسلمين في كل عصر، وهي إحدى الوسائل المساعدة على القيام بهذا الواجب العظيم[٥].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما إلى اليمن قبل حجة الوداع (ك٦٧ ح٤١٨٦)، ٤/ ١٥٧٨.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (ك١٠٠ ح٦٩٣٧)، ٦/ ٢٦٨٥.

(٣) انظر: الشيخ محمد أبو زهرة، خاتم النبيين ٢/ ١٤٠٥.

(٤) انظر: أبو زهرة (المرجع السابق) ٢/ ١٤٠٥.

(٥) انظر: د. محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية، ص٤٧٣

الفصل الثالث

التدرج في الدعوة باعتبار الأسلوب

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحـــث الأَول: أسلوب العرض

المبحـــث الثاني: أسلوب الحماية

المبحث الثالث : أسلوب الإلزام

المبحث الرابع : أسلوب التأليف

تمهيد

بعد أَن بينت في الفصل السابق وسيلته ﷺ في الدعوة وكيف جاءت هذه الوسيلة متدرجة وفق حاجة الدعوة وظروفها فإنِّي في هذا الفصل سوف أُبيِّن الأسلوب الحكيم الذي نهجه ﷺ في دعوته حيث ابتدأ بأسلوب العرض في العهد المكي فلم يكن ثم سوى عرض الدعوة فقط، فلما هاجر ﷺ إلى دار الهجرة اتخذ ﷺ أسلوباً آخر هو أسلوب الحماية. هذا الأسلوب اتخذه ﷺ في الوقت المناسب حيث حاجة الدعوة ودعاتها إلى الحماية، ثم لما هزم الله أَعداءه في الأَحزاب، اتَّخذَ ﷺ أسلوباً جديداً هو أسلوب الإلزام كانت الغاية منه إلزام أعداء الدعوة بالخضوع لها وكسر شوكتهم، فلا تقوم لهم بعد ذلك قائمة، ثم لمَّا أَفاء الله عليه بحنين اتخذ ﷺ أسلوباً دعوياً آخر هو أسلوب التأليف حيث بذل الكثير من العطايا من أجل تألف المدعوين على الدعوة وقد جاءت هذه الأَساليب متدرجة مراعياً فيها ﷺ ظروف الدعوة زماناً ومكاناً. وفيما يلي التفصيل في هذه الأَساليب.

المبحث الأول

أسلوب العرض

ابتدأ ﷺ بعرض دعوته بالحكمة والقول اللِّين، وإقامة الدليل على صدق رسالته، وما جاء به، مكتفياً بالعرض اللطيف، مقتدياً بهدي إخوانه من الرسل عليهم السلام، فقد قال سبحانه مخاطباً موسى وهارون، وقد بعثهما إلى فرعون طاغية الأرض في زمانه ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[1].

وقال لرسوله ﷺ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[2] فجعل المطلوب أحد الأمرين إما التقوى أو التذكر[3] لذا كانت سمة هذه الفترة في دعوته ﷺ العرض بالحكمة واللين لما في ذلك من التأثير في الإجابة[4] ممتثلاً قول الله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[5]. فأمر الله رسوله أن يدعو إلى دين الله وشرعه بتلطف وهو أن يسمع المدعو حكمة وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النفس أجمل موقع[6] وهذه الطرق

---

(١) سورة طه، الآية: ٤٤.
(٢) سورة طه، الآية: ١١٣.
(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٥/ ٢٣٩.
(٤) انظر: الشوكاني، فتح القدير ٣/ ٣٦٦.
(٥) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٦) أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٥/ ٥٤٩.

الثلاثة في الآية هي النافعة في العلم والعمل[1] فعرض ﷺ دعوته على الناس بهذه الطرق الثلاثة الحكيمة مراعياً في ذلك مايقتضيه المقام من معاني الكلام ومن أحوال المخاطبين من خاصة وعامة[2] فالذي له فهم وقصد إذا دُعي بالحكمة وبُيِّن له الحق قَبِل واستجاب[3] فالصديق رضي الله عنه قبل واستجاب حين عرض عليه النبي ﷺ الحق دون تردد يدل على ذلك قوله ﷺ: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت ـ وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله..»[4] ومن الأدلَّة على هذا العرض الحكيم مارواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ضماداً قدم مكة وكان من أزد شنوءة وكان يرقي من هذه الريح فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، قال فلقيه فقال: يامحمد: إني أرقي من هذه الريح. وإن الله يشفي على يدي من شاء فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد» قال فقال أعد كلماتك هؤلاء. فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال: فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢/ ٤٢.

(٢) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير ١٤/ ٣٣٠.

(٣) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٩/ ١٦٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (ك٦٦ ح٣٤٦١) ٣/ ١٣٣٩.

ناعوس(*) البحر. قال: فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ، «وعلى قومك»: قال: وعلى قومي..[1].

ولما كانت النفوس غالباً لاتقبل الحق إلاّ بما تستعين به من حظوظها التي هي محتاجة إليها[2] كان ﷺ يعرض دعوته بالترغيب تارة، وبالترهيب أخرى، وذلك لما فيهما من صلاح للقلوب فترغب فيما ينفعها، وترهب مما يضرها[3] قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[4]. فالترغيب والترهيب من مهام الرسل وأساليبهم في الدعوة قال تعالى واصفاً نبيه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾[5]. يقول الفخر الرازي: «فيه ترتيب حسن، وذلك من حيث أن النبي ﷺ أرسل شاهداً بقول لا إله إلاّ الله، ويرغب في ذلك بالبشارة، فإن لم يكف ذلك يرهب بالإنذار»[6].

فالترغيب يكون بالبشارة بالخير، وتيسير طرقه، والإعانة عليه، والترغيب

(*) وفي سائر الروايات «قاموس البحر» وهو وسطه ولجته، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٥/ ٨١.

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، (ك ٧ح٨٦٨) ٢/ ٥٩٣.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٦٦.

(٣) انظر: ابن تيمية (المرجع السابق) ١٠/ ٩٥.

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ٤٨، ٤٩.

(٥) سورة الأحزاب، الآيتان: ٤٥، ٤٦.

(٦) الفخر الرازي، التفسير الكبير ٢٥/ ٢١٦, ٢١٧.

فيه بكل ممكن[1] يدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يارسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[2]. ففي هذه البشارة ترغيب لخديجة رضي الله عنها بمزيد من العمل الصالح، وفيها بيان فضلها، لسبقها نساء الأُمة إلى الإيمان، فسنت ذلك لكل من آمنت بعدها[3].

ومن ذلك حثُّه ﷺ صحابته على الصبر، وتبشيرهم بالتمكين لهم في الأرض بقوله: «والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لايخاف إلاَّ الله»[4].

ومما يدل على أنه ﷺ كان يعرض دعوته بأسلوب البشارة، ما رواه الإمام أحمد بسند صحيح أن النبي ﷺ كان يخاطب الناس في ذي المجاز: «ياأيها الناس قولوا لا إله إلاَّ الله تفلحوا»[5]. وفي هذا بشارة بالفلاح لمن آمن

---

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢٨/ ٣٦٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها رضي الله عنها، (ك٦٦ ح٣٦٠٩) ٣/ ١٣٨٩.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٧/ ٥١٧.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، (ك٩٣ ح٦٥٤٤) ٦/ ٢٥٤٦.

(٥) أحمد بن حنبل، المسند ح (١٦٠٠٣)، ٣/ ٦٤٧.

واستجاب، فإذا أبت النفوس إلاّ الإعراض عن الحق والإصرار على الباطل جاءت الموعظة، التي تطرق القلب، وتقرع مشاعر الإنسان[1] وجاء الترهيب ليتخذ طريقه إلى القلوب من خلال ما ركب فيها من غريزة الخوف.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي ﷺ الصفا، فجعل ينادي: يابني فهر.... ثم قال ﷺ: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد... الحديث»[2].

وروى البخاري أيضاً عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل مابعثني الله، كمثل رجل أتى قوماً فقال رأيت الجيش بعيني وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء.. الحديث»[3].

وتروي كتب التفسير والسير حادثة تصور وقع الإنذار على قلب رجل مشرك حينما استمع إلى النبي ﷺ وهو يقرأ صدراً من سورة فصلت حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ فوضع هذا الرجل يده على فم رسول الله ﷺ وناشده الرحم أن يكف مخافة

---

(١) د. عبدالفتاح عاشور، منهج القرآن في تربية المجتمع، ص٢٤٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ (ك٦٨ ح٤٤٩٢) ٤/ ١٧٨٧.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي، (ك ٨٤ ح٦١١٧) ٥/ ٢٣٧٨.

وقوع العذاب[1]. وإذا أصر الخصم على العناد وردّ الحق وإثارة الشبهات حول الداعية ودعوته فإن الداعية الحكيم يعرض دعوته حينئذ بالمجادلة بالحسنى، فيبطل شبه المشركين وهذا ما سلكه الرسول ﷺ مهتدياً بهدي من سبقه من أُولي العزم من الرسل، حيث جادلوا أقوامهم في بيان الحق وإبطال الشبه، وقد أشار الله تعالى إلى هذه المجادلة في كتابه الكريم، فقال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام الذي جادله قومه في ذات الله تعالى فأفحمهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾[2]. ولما جادلت قريش النبي ﷺ، وبدأت تثير الشبه حول رسالته، كان التنزيل الكريم يؤيده عليه الصلاة والسلام، في دحض شبهاتهم وإبانة الحق، قال تعالى﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[3]. أي: لايأتونك بشبه في إبطال أمرك، إلا جئناك بالحق الذي يدحض شبهة أهل الجهل، ويبطل كلام أهل الزيغ[4] ومما يدل من السنة على قيامه ﷺ بدحض شبه المشركين، مارواه الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله ﷺ بعظم حائل ففتّه فقال: يامحمد أيبعث هذا بعد ما أرم قال: «نعم يبعث الله هذا! يميتك ثم يحييك ثم يدخلك نار جهنم»،

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٣٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨. (٣) سورةالفرقان، الآية: ٣٣.

(٤) أبوحيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ٦/ ٤٩٧.

فنزلت الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[1] إلى آخر السورة[2].

□ □ □

---

(1) سورة يس، الآيات: ٧٧، ٨٣.

(2) الحاكم، المستدرك على الصحيحين وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ٢/ ٤٢٩.

المبحث الثاني

أسلوب الحماية

لولا ما شرعه الله لأنبيائه وعباده المؤمنين من قتال الأعداء، لاستولى أهل الشرك، وذهبت مواضع العبادة من الأرض[1] قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾[2].

يقول الطبري: (لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين ﴿لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ﴾[3]. فالجهاد إنما شرع لمقاصد منها دفع الصائل والمؤذي، والتمكن من عبادة الله، وإقامة الشرائع الظاهرة[4] .

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ٧٠، وانظر: الشوكاني، فتح القدير ٣/ ٤٥٧.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.

(٣) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١/ ١٧٤.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٥/ ٢٩٩/ ٣٠٠.

والمتأمل لسيرة إمام الدعاة ﷺ يتبين له حرصه الشديد على القيام بهذه الحماية منذ مقدمه المدينة، فمن أجل حماية جوف المدينة كان أحد بنود الوثيقة المبرمة مع اليهود: (وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة)[1] ومن أجل هذه الحماية، كثف السرايا ﷺ والغزوات، ليعمل حزاماً أمنياً حول المدينة، بمصالحة مجاوريها، وضمهم لصالح قواته أو محايدتهم[2].

ومن أجل هذه الحماية انتدب ﷺ بعض أصحابه، للقضاء على كل من اشتد ضرره على الدعوة ونقض عهده مع الرسول ﷺ فقد قال ﷺ: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه آذى الله ورسوله»[3] فقد كان يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه قريشاً، ويشبب بنساء المسلمين[4] فانتدب إليه بعض أصحابه ﷺ فاغتالوه[5] وكذلك فعل ﷺ مع أبي رافع عبدالله بن الحقيق، حينما آذاه وأعان عليه غطفان ومشركي قريش، فأرسل ﷺ إليه رجالاً من الأنصار فقتلوه،

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ١٠٨.

(٢) انظر: الشامي، من معين السيرة، ص١٨٤، وانظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٧٧، ١٧٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قتل كعب بن الأشرف (ك٦٧ ح٣٨١١) ٤/ ١٤٨١.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٧٧.

(٥) انظر: ابن حجر، المرجع السابق ٨/ ٨٠.

ومن أجل هـذه الحماية، بل مـن أجل الدفاع عـن الحق وأهله، أذن الله لرسوله ﷺ بالقتـال فقال سبحانه: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾[2]. أي بسبب كونهم مظلومين، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، كان مشـركو مكة يـؤذونهم أذى شديداً، وكـانوا يأتـون رسول الله ﷺ بين مضروب ومشجوج يتظلمـون إليه ، فيقول لهم : اصبروا ، فـإني لم أُومر بـالقتال ، حتى هاجـر فأنزلت هـذه الآية، وهي أول آيـة أذن فيها بالقتـال فقد روى ابن جريـر الطبري بسنده عـن ابن عباس رضي الله عنهمـا قال: «لما أُخـرِجَ النبي ﷺ من مكـة قـال أَبـو بكـر: أخـرجـوا نبيهم، ليهلكـن فـنزلت ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ ﴾ الآية. قال ابن عباس: فهي أول آية أنزلت في القتال»[3].

والمتأمل لسيرته ﷺ يتبين له أنه ﷺ قـاتل المشركين لأَنَّهم أَخرجوه من مكة، وآذوه واستـولوا علـى أَموال المسلمين، وقصـدوا فتنتهم في دينهـم، ولم يقاتـل اليهود، إلاَّ لأنهم بدأوا بـالعداوة للمسلمين، فكـان هذا القتال حمـاية للدعوة مـن معارضيها المعاندين، والتقصيـر في هذه الحماية، يعـرض الدين للزوال[4].

من أَجل ذلك قاتل ﷺ المشركين في بدر، حيـث خرجوا من مكة، بطراً ورياءً ومحادّة لله ورسوله، كما أَخبر الله عنهم في كتابه الكريم، وكما أخبر ﷺ بذلك.

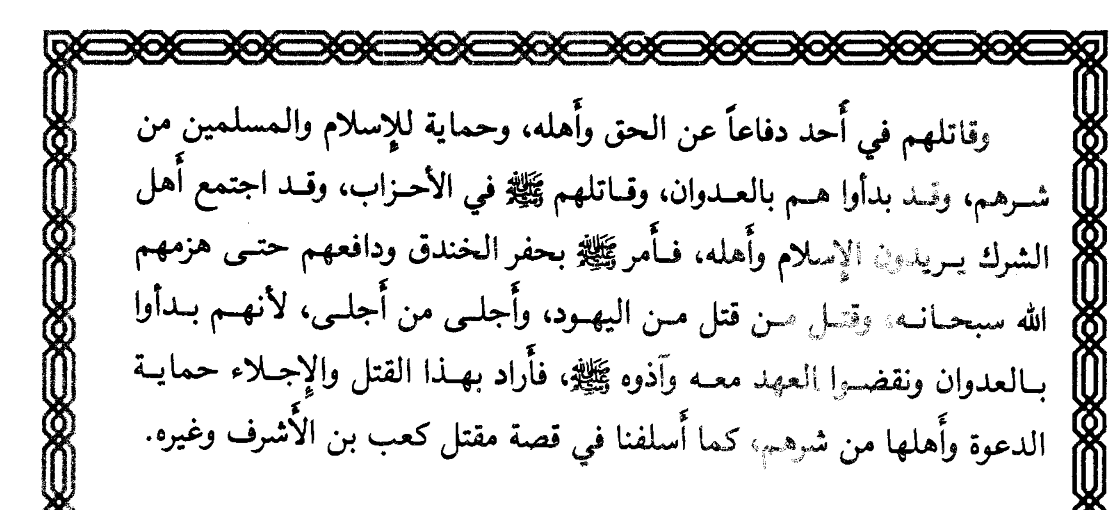
---

(١) انظر: ابن حجر، المرجع السابق ٨/ ٨٤.

(٢) سورة الحج، الآية: ٣٩.

(٣) التـرمذي جـامع الترمـذي، كتاب تفسيـر القرآن، بـاب ومن سـورة الحج، ح٣١٧١، ٥/ ٣٠٤.

(٤) انظر: د. أحمد بن أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها ص٤٥.



وقاتلهم في أحد دفاعاً عن الحق وأهله، وحماية للإسلام والمسلمين من شرهم، وقد بدأوا هم بالعدوان، وقاتلهم ﷺ في الأحزاب، وقد اجتمع أهل الشرك يريدون الإسلام وأهله، فأمر ﷺ بحفر الخندق ودافعهم حتى هزمهم الله سبحانه، وقتل من قتل من اليهود، وأجلى من أجلى، لأنهم بدأوا بالعدوان ونقضوا العهد معه وآذوه ﷺ، فأراد بهذا القتل والإجلاء حماية الدعوة وأهلها من شرهم، كما أسلفنا في قصة مقتل كعب بن الأشرف وغيره.

□ □ □

المبحث الثالث

أسلوب الإلزام

بعد أن هزم الله الأحزاب انتقلت الدعوة إلى أسلوب جديد، وهو أسلوب الإلزام، حيث ألزم ﷺ جميع أعدائه الظاهرين، بالخضوع لسلطان الدعوة، وقد صرح بهذا بقوله عليه الصلاة والسلام: «الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم» فطوّع قريشاً بمصالحته، ثم بفتح مكة والقضاء على الوثنية والفتنة، وطوع اليهود بإجلائهم من المدينة ثم غزوهم في خيبر والقضاء على شوكتهم وفيما يلي شيء من التفصيل حول إلزام هاتين الطائفتين.

☐ أولا: إلزام المشركين :

لما كانت قريش قد حملت لواء عداوته ﷺ، وأعلنت الحرب ضده ﷺ، وهي زعيمة العرب، لتشرفها بمجاورة بيت الله الحرام، والقيام عليه، كان من كمال حكمته ﷺ حين خرج يريد العمرة هو وأصحابه وبركت ناقته، أن عرض عليهم المصالحة فقال: «والذي نفسي بيده لايسألونني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلاّ أعطيتهم إيّاها»[1]. ثم بدأ عليه الصلاة والسلام يبين لمبعوثي قريش هدف مجيئه، ويدعوهم إلى مهادنته فيقول: «إنّا لم نجيء لقتال، ولكنا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم،

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط (ك٥٨ ح٢٥٨١) ٢/ ٩٧٤.

فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا وإلاّ فقد جموا. وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا، حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره»[1]. فهددهم ﷺ بالمقاتلة إن لم يخلوا بينه وبين الناس ثم طلب من أصحابه البيعة على القتال، حينما ارتهنت قريش عثمان رضي الله عنه، فلما علمت قريش بتلك البيعة، سارعوا في إرسال عثمان وطلب المصالحة[2] فصالحهم عليه الصلاة والسلام على شروط أملوها، ظاهرها الشدة على المسلمين، وباطنها النصرة والعزة، حيث كانت تلك الشروط هي عين نصرته ﷺ، وهي أكبر جند نصبه العدو لحربه من حيث لايشعر فكانت عاقبتهم الذلة والقهر وعاقبته ﷺ النصر والعزة [3] يدل على ذلك نزول صدر سورة الفتح، في أعقاب تلك المصالحة، وهي قوله عز وجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[4] يقول ابن كثير: «المراد به صلح الحديبية»[5] فكان في هذا الصلح إلزام المشركين بعدم التعرض للدعوة وأهلها، فكان في ذلك النصر المبين، يدل على ذلك ماروا البخاري عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: «تعدون أنتم الفتح، فتح مكة، وقد كان فتحاً، ونحن نعد الفتح، بيعة

---

(١) المرجع السابق (ك٥٨ ح٢٥٨١) ٢/ ٩٧٥.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٥/ ٦٩٥.

(٣) انظر: ابن قيم الجوزية، زاد المعاد ٣/ ٣١٠.

(٤) سورة الفتح، الآية: ١.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٨٣.

الرضوان يوم الحديبية... الحديث»[1]. يعلل ابن حجر رحمه الله ذلك بقوله: «لأنها كانت مبدأ الفتح المبين، على المسلمين لما ترتب على الصلح الذي وقع، منه الأمن ورفع الحرب وتمكن من يخشى الدخول في الإسلام والوصول إلى المدينة من ذلك»[2].

وقد نبّه جماعة من العلماء إلى الحكمة العظيمة، والفوائد الجمة المترتبة على إلزام المشركين بهذه المصالحة، فيقول الزهري: «لم يكن في الإسلام فتح قبل فتح مكة أعظم منه ـ يعني الحديبية ـ وإنما كان الكفر حيث القتال، فلما أمن الناس كلم بعضهم بعضاً، وتفاوضوا في الحديث والمنازعة، ولم يكن أحد في الإسلام يعقل شيئاً، إلاَّ بادر إلى الدخول فيه، فلقد دخل في تلك السنتين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر»[3].

ويقول النووي: «فكانت تلك المصالحة المترتبة على إتمام هذا الصلح، ماظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة، التي كانت عاقبتها فتح مكة، وإسلام أهلها كلهم ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين فلما حصل اختلطوا بالمسلمين»[4].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري باب غزوة الحديبية (ك٦٧ ج٣٩١٩/ ٣٩٢٠) ٤/ ١٥٢٥.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق ٨/ ٢٠٩، وانظر: ابن هشام السيرة النبوية ٣/ ٢٠٦.

(٤) النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٤٠.

فكـان الإلزام بهذه المصـالحة خاصـاً بقـريش - العدو الـوثني [1] وقد اعترفت قريش فـي أعقابه بالكيان الإسلامي اعتـراف الند بالند[2] فكان ذلك مـدعاة لـدخول كثيـر من القبائل فـي الإسلام بعـد أن أمنوا مـن قريش، بعـد مصالحتها للنبي ﷺ[3].

بل كان هذا الصلح مقدمة لفتـح مكة، حيث نقضت قريش صلحها مع النبي ﷺ فكـان ذلـك داعياً لمسيـره ﷺ إليهـم وفتح مكـة[4] والقضـاء على فتنتهـم، حيـث كـانوا يصـدون عـن دين الله يقـول تعـالى: ﴿ وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[5]. ولذا أَقبـل الناس على دين الله أَفـواجاً فقـد روى البخاري في كتـاب المغازي، عن عمـرو بن سلمـة ـ رضي الله عنـه ـ قـوله: «وكـانت العرب تَلَوَّمُ[*] بإسلامهم الفتح، فيقـولون: اتركوه وقومه، فـإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صـادق، فلما كانـت وقعة أهل الفتح، بادر كـل قوم بإسـلامهم وبدر أَبى قومي بإسلامهم.. الحديث»[6].

---

(١) انظر: البوطي، فقه السيرة النبوية ص٣٧٤.

(٢) انظر: أبو شهبة، السيرة النبوية (٢/ ٣٤٠).

(٣) انظر: حاشية د. مصطفى ديب البغا على صحيح البخاري ٤/ ١٥٢٥.

(٤) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ١٦٤، ١٦٥.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٩٣ وسورةالأنفال، الآية: ٣٩.

(*) تَلَوَّمُ بإسلامهم الفتـح: أي: تتلوم ومعناه: تنتظر فتح مكة حتى تعلن إسـلامها، انظر: ابن حجر: فتح الباري ٨/ ٣٣٨، وانظر: العيني عمدة القاري ١٧/ ٢٩٠.

(٦) البخاري، صحيـح البخاري، كتاب المغـازي، باب من شهـد الفتح، (٦٧/ ٤٠٥١) ٤/ ١٥٦٤، ١٥٦٥.

□ **ثانياً: إلزام اليهود :**

اتسمت سيرة اليهود مع النبي ﷺ بالعداوة الشديدة، ونكث العهود، فقابلوا الإحسان بالإساءة، وحاربوا الدعوة الإسلامية حرباً لا هوادة فيها، وهموا بقتل النبي ﷺ، وهو في دارهم وسعوا في الإفساد بين المسلمين[1] وبذلوا الكثير في دعم النفاق وأهله، فما كان منه ﷺ، إلاَّ أن أمرهم بالجلاء إن لم يستجيبوا لهذا الدِّين، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد، خرج النبي ﷺ فقال: «انطلقوا إلى يهود» فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس، فقال: «أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأَرض لله ورسوله، إنِّي أُريد أَن أُجليكم من هذه الأَرض، فمن يجد منكم بماله شيئاً فليبعه، وإلاَّ فاعلموا أَن الأَرض لله ورسوله»[2]. وروى مسلم عن ابن عمر «أن يهود بني النضير وقريظة حاربوا رسول الله ﷺ فأَجلى رسول الله ﷺ بني النضير، وأَقر قريظة ومن عليهم حتى حاربت قريظة بعد ذلك فقتل رجالهم وقسم نساءهم وأَولادهم وأَموالهم بين المسلمين إلاَّ أَن بعضهم لحقوا برسول الله ﷺ فآمنهم وأسلموا وأجلى رسول الله ﷺ يهود المدينة كلهم، بني قينقاع (وهم قوم عبدالله بن سلام) ويهود بني حارثة وكل يهودي كان بالمدينة[3] أجلاهم لأنهم حاربوه ﷺ فتحولوا من معاهدين إلى

---

(١) انظر: أبو شهبة، السيرة النبوية ٢/ ٣٨٩.

(٢) البخاري، كتاب الجزية والموادعة، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب (ك٦٢ ح٢٩٩٦) ٣/ ١١٥٥.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز (ك٣٢ ح١٧٦٦) ٣/ ١٣٨٧، ١٣٨٨.

حربيين[1] فأمرهم بالجلاء فتحول بعضهم إلى الشام، وتحوّل أَشرافهم إلى خيبر.

وبدأوا من خيبر يكيدون لرسول الله ﷺ فمنها انطلق وفدهم الذين حزبوا الأحزاب وقادوهم إلى المدينة [2] ثم لما هزمهم الله في الأحزاب، بدأوا يُبيِّتون النوايا للقيام بهجوم واسع النطاق على المدينة، مستعينين بإخوانهم من يهود تيماء وفدك ووادي القرى[3] ومستعينين بحلفائهم غطفان على أَن يعطوهم نصف ثمار خيبر إن غلبوا المسلمين.

فما كان من رسول الله ﷺ إزاء هذا الخطر الكامن، وبعد أَن أمن جانب قريش بمصالحتهم في الحديبية إلاَّ أَن سار إلى هؤلاء لتأديبهم ، يدل على ذلك ما رواه البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى خيبر ليلاً، وكان إذا أَتى قوماً بليل، لم يقربهم حتى يصبح، فلما أَصبح، خرجت اليهود بمساحيهم ومكاتلهم، فلما رأوه قالوا: محمد والله محمد والخميس، فقال النبي ﷺ: «خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»[4]. فقاتلهم ﷺ وسبى نساءهم وأَخذَ أَموالهم وقوَّض سلطانهم في شبه الجزيرة، فلم يعد لهم شأن يذكر، بل أَذعنوا لسلطان الإسلام وسطوته وأَمن ﷺ

---

(١) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ٩٠، ٩١.

(٢) انظر: صالح الشامي، من معين السيرة ص٣٤٥، وانظر: أبو شهبة، السيرة النبوية ٢/ ٤١٤.

(٣) انظر: الشامي المرجع السابق ص٣٤٥.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (ك٦٧ ح٣٩٦١) ٤/ ١٥٣٨.

جانبهم[1] يدل على ذلك ما رواه أبو داود عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر فغلب على النخل والأرض، وألجأهم إلى قصرهم، فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء والحلقة ولهم ماحملت ركابهم... الحديث»[2].

ثم أبقاهم ﷺ لاستصلاح الأرض، على أن ليس لهم فيها ملك، ومتى شاء أن يخرجهم أخرجهم[3] ولذلك أجلاهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[4] فقد روى أبو داود عن عمر رضي الله عنه. قال: «أيُّها الناس! إن رسول الله ﷺ، كان عامل يهود خيبر، على أنَّا نخرجهم إذا شئنا، فمن كان له مال فيلحق به، فإنِّي مخرج يهود، فأخرجهم»[5].

إذْ إن مصلحة الدولة الإسلامية، توجب إلزام كل عدوٍّ ظاهر العداوة بالخضوع لسلطانها، والقضاء على قوته، حتى لايكون مصدر خطرٍ يهددها.

---

(١) انظر: أبو شهبة، السيرة النبوية، ٢/ ١٣٨٩، وانظر: محمد دروزه، سيرة الرسول ﷺ، ٢/ ٢٠٥.

(٢) محمد ناصر الألباني، صحيح سنن أبي داود (٢٤/ ٣٠٠٩) ٢/ ٥٨٣، ٥٨٤.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٢٥٦.

(٤) انظر: المرجع السابق ٨/ ٢٥٦.

(٥) الألباني، صحيح سنن أبي داود (٢٤/ ٣٠٠٧) ٢/ ٥٨٢.



المبحث الرابع

أسلوب التأليف

من الحكمة التي يراعيها الداعية إلى الله أن يسلك سُبلاً تربطه بالناس، وتؤثّر في قلوبهم، فالنفوس، قد جعلَ الله لها مداخل وخاصية، وذلك أنها تفتح قلوبها لمن يأتيها من الزوايا التي تريحها، وتقترب لمن يتألفها ويستميلها[1] ومهمة الداعية الحكيم أن يمتلك مفاتيح تلك القلوب، ليعرف من أين يدخل إليها ليجد الاستجابة، ومن هذه السبل أن يوثق الدّاعية علاقاته بأصحاب الرأي والتوجيه من الناس، لما في ذلك من أثر نفسي لكلمة الداعية، وسرعة لقبول دعوته، وكل هذه السبل مجتمعة، في إحسان الداعية إلى مدعويه، فالقلوب مجبولة على حب من أحسن إليها، وقد اجتمعت هذه السبل في دعوته ﷺ، فقد كان يتعامل مع كل بحسبه فيعطي محبي المال شيئاً يتألف به قلوبهم، ويتعامل مع حديثي العهد بالإسلام، بما يرسخ الإيمان في قلوبهم[2] فتجده ﷺ يؤلف القلوب ببذل العطاء العظيم، كما فعل ﷺ في حنين، بعد أن أغنمه الله أموال هوازن فآثر أُناساً من المؤلفة قلوبهم من صناديد قريش وغيرهم ممتثلاً قول الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ

---

(١) انظر: جمعة أمين عبدالعزيز، الدعوة قواعد وأصول، ص١٢٣.

(٢) انظر: عبدالرحمن حسن حبنكة الميداني، الأخلاق الإسلامية وأسسها ١/ ١٩٦.

﴿لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

فكان يعطيهم ﷺ ترغيباً لهم واستمالة لقلوبهم، فالترغيب يكون بكل ممكن، مثل أن يبذل الراعي لرعيته مايرغبهم في العمل الصالح، من مال وغيره[2].

فأعطى ﷺ أناساً مازالوا على شركهم، مثل صفوان بن أُمية إذْ أَعطاه ﷺ عطاءً عظيما، فقد روى مسلم عن ابن شهاب قال: «غزا رسول الله ﷺ بحنين فنصر الله دينه والمسلمين، وأَعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان ابن أُمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة»[3].

فكيف كان أَثر هذا العطاء في هذا الرجل؟

يصف بنفسه رضي الله عنه هذا الأَثر فيقول: «والله لقد أَعطاني رسول الله ﷺ ما أَعطاني، وإنَّه لأَبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني، حتى إنه لأَحب الناس إلي»[4]. وهذا هو السر في ترغيبه ﷺ بعض الكفار بالمال لاعتناق الإسلام[5].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٦٠.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٨/ ٣٦٩، ٣٧٠.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل النبي ﷺ قط فقال لا، وكثرة عطائه (ك٤٣ ح٢٣١١) ٤/ ١٨٠٦.

(٤) المرجع السابق (ك٤٣ ح٢٣١٣) ٤/ ١٨٠٦.

(٥) أحمد عبدالرحمن البنا، الفتح الرباني ٩/ ٦٠.

ومِمن آثر ﷺ بالعطاء يومئذ صناديد من العرب، أعطاهم يتألَّفهم ويتألَّف أقوامهم، فقد روى البخاري عن عبدالله رضي الله عنه قال: «لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة، فأَعطى الأَقرع بن حابس مائة من الإبل، وأَعطى عيينة بن حصن مثل ذلك، وأعطى أُناساً من أَشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة... الحديث»[(١)].

وحينما وجد عليه الأَنصار ـ رضي الله عنهم بيَّن لهم ﷺ الحكمة من هذا الإيثار، فقال: «إِنِّي أُعطي رجالاً حديث عهدهم بكفر»[(٢)].

وفي رواية: «إني أعطي قريشاً أتألفهم لأنهم حديث عهد بجاهلية»[(٣)].

وفي حديث سعد رضي الله عنه: «إِنِّي لأعطي الرجل وغيره أحب إليَّ منه مخافة أَن يكبه الله في النار»[(٤)].

يشير أَنس رضي الله عنه إلى أَثر هذا العطاء فيقول: «إن كان الرجل ليسلم مايريد إلاَّ الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أَحب إليه من الدنيا

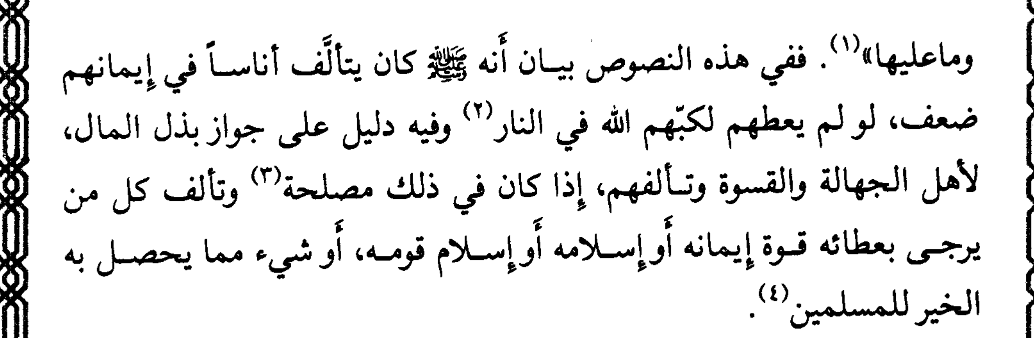
---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الخمس، باب ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم من الخمس ونحوه (ك٦١ ح٢٩٨١) ٣/ ١١٤٨.

(٢) المرجع السابق كتاب الخمس، باب ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم (ك٦١ ح٢٩٧٧) ٣/ ١١٤٧.

(٣) المرجع السابق (ك٦١ ح٢٩٧٨) ٣/ ١١٤٧.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب تألف من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع (ك١ ح١٥٠) ١/ ١٣٢.



وماعليها»[1]. ففي هذه النصوص بيان أنه ﷺ كان يتألَّف أناساً في إيمانهم ضعف، لو لم يعطهم لكبّهم الله في النار[2] وفيه دليل على جواز بذل المال، لأهل الجهالة والقسوة وتألفهم، إذا كان في ذلك مصلحة[3] وتألف كل من يرجى بعطائه قوة إيمانه أو إسلامه أو إسلام قومه، أو شيء مما يحصل به الخير للمسلمين[4].

ومن السبل التي كان يسلكها ﷺ في تألف مدعويه، الإحسان إليهم بالعفو والامتنان، وذلك من كمال حكمته ﷺ حيث كان يتألف الناس بما يعلم فيه صلاحهم، فإن كانوا ممن يؤثر المال تألفهم بالمال، وإن كانوا سوى ذلك تألفهم بما يتناسب وحالهم، فكان ﷺ كثيراً ما يتألف بالعفو ممتثلاً قول الله عز وجل: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[5]. وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾[6]

---

(١) المرجع السابق، كتاب الفضائل، باب ماسئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا وكثرة عطائه (ك٤٣ ح٢٣١٢) ٤/ ١٨٠٦.

(٢) انظر: النووي، شرح صحيح مسلم ٧/ ١٤٨، ١٤٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ٧/ ١٤٦.

(٤) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير ١٦/ ١١١، وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/ ٣٦٥، وانظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن ٣/ ٢٥٢.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.

(٦) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

ومما يدل على ذلك من أفعاله ﷺ، ما رواه البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنه غزا مع رسول الله ﷺ قبل نجد، فلما قفل رسول الله ﷺ قفل معه فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاه فنزل رسول الله ﷺ وتفرق الناس في العضاه يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله ﷺ تحت سمرة، فعلق بها سيفه قال جابر: فنمنا نومة فإذا رسول الله ﷺ يدعونا فجئناه، فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: **«إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال لي: من يمنعك مني؟ قلت: الله: فها هو ذا جالس، ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ»**[1].

ففي هذا العفو والمن، دليل على شدة رغبته ﷺ في تأليف الكفّار ليدخلوا في الإسلام[2].

وقد كانت نتيجة هذا العفو كما يرغب ﷺ، حيث أسلم الرجل ورجع إلى قومه فاهتدى به خلق كثير[3].

ويدل على تألفه بالعفو أيضاً، كريم عفوه وعظيم منّه على ثمامة بن أُثال سيد أهل اليمامة، حيث قال: «أَطلقوا ثمامة»[4]. فانقلب بغض هذا الرجل المشرك حباً وعداوته صداقة، فأسلم وحسن إسلامه، وذلك لما أسداه

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع (ك٦٧ ح٣٩٠٥) ٤/ ١٥١٥.

(٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ١٩٣.

(٣) انظر: المرجع السابق ٨/ ١٩٣.

(٤) البخاري، صحيح البخاري كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال (ك٦٧ ـ ح١٤١٤) ٤/ ١٥٨٩، ١٥٩٠.

إليه النبي ﷺ من العفو والمن بغير مقابل[1] ويشير النووي إلى الحكمة النبوية في هذا العفو والملاطفة فيقول: «هذا من تأليف القلوب وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف، الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير»[2].

وبعد فتح مكة أعلن عليه الصلاة والسلام العفو عن عامة أهل مكة، وهم الذين عرفوا فيما بعد بالطلقاء، لمنه ﷺ عليهم فلم يعاقبهم ﷺ عملاً بقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾[3] فقد روى الترمذي عن أبي بن كعب قال: لما كان يوم أحد أصيب من الأنصار أربعة وستون رجلاً ومن المهاجرين ستة فيهم حمزة فمثلوا بهم، فقالت الأنصار: لئن أصبنا منهم يوماً مثل هذا لنُرْبِيَنّ عليهم، قال: فلما كان يوم فتح مكة فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ فقال رجل: لا قريش بعد اليوم، فقال رسول الله ﷺ: «كفوا عن القوم إلا أربعة»[4] فكانت عاقبة ذلك إسلام كثير من هؤلاء الطلقاء.

ومن السبل التي سلكها ﷺ تأليف القلوب بالمصاهرة، فقد روى الإمام أحمد عن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قسم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جويرية بنت الحارث في السهم

---

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٤٢١.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم١٢/ ٨٩.

(٣) سورةالنحل، الآية: ١٢٦.

(٤) الجامع الصحيح كتاب تفسير القرآن باب ومن سورة النحل (ح٣١٢٨) ٥/ ٢٧٩.

لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، وكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة ملاحة، لايراها أحد إلاَّ أخذت بنفسه، فأتت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها، قالت: فوالله ماهو إلاَّ أن رأيتها على باب حجرتي فكرهتها، وعرفت أنه سيرى منها مارأيت، فدخلت عليه فقالت: يارسول الله، أنا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار سيد قومه، وقد أصابني من البلاء مالم يخف عليك، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس، أو لابن عم له، فكاتبته على نفسي فجئتك أستعينك على كتابتي، قال: «فهل لك في خير من ذلك»؟ قالت: ما هو يارسول الله ؟ قال: «أقضي كتابتك وأتزوجك»، قالت نعم يارسول الله، قال: «قد فعلت» قالت:وخرج الخبر إلى الناس، أن رسول الله ﷺ تزوج جويرية بنت الحارث، فقال الناس: أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا مابأيديهم، قالت: فلقد أعتق بتزويجه إياها، مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها[1]. فأعتق الناس سباياهم إكراماً لها، لأنها صارت من أمهات المؤمنين[2] فظهرت حكمته ﷺ في هذه المصاهرة، وهي تأليف هذه المرأة وتأليف قومها على الإسلام، فحينما سارع أصحابه رضي الله عنهم بإعتاق ما في أيديهم،وقالوا: أصهار رسول الله ﷺ دعاهم ذلك إلى الإيمان بالله ورسوله لما رأوا من الكرم وحسن الخلق[3].

---

(١) أحمد بن عبدالرحمن البنا، الفتح الرباني ١٤/ ١٠٩، ١١٠، وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣/ ١٨٥، ١٨٦.

(٢) انظر: أحمد البنا، الفتح الرباني ١٤/ ١١٠.

(٣) انظر: الشيخ محمد محمود الصواف، زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن ص٧٤، وانظر: د. عبدالناصر توفيق العطار، تعدد الزوجات ص١٤١.

الفصل الرابع

التدرج في الدعوة باعتبار المدعو

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول : البدء بالأقربين.

المبحث الثاني: التعرف على المدعوين.

المبحث الثالث : العناية بذوي المكانة.

المبحث الرابع : عرض الدعوة على عموم المدعوين.

تمهيد

بعد أن بيّنت التدرج في الدعوة باعتبار الموضوع، عقيدة وشريعة، وذلك في الفصل الأَول، ثم بينت التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة، في الفصل الثاني، وذكرت في الفصل الثالث، كيف تدرج ﷺ في الأسلوب، بقي أن نبين كيف كان ﷺ يتدرج في الدعوة باعتبار المدعوين وهذا ماسوف أبينه في هذا الفصل إذْ قسمته إلى أَربعة مباحث.

المبحث الأَول: البدء بالأَقربين.

المبحث الثاني: التعرف على المدعوين.

المبحث الثالث: العناية بذوي المكانة.

المبحث الرابع: عرض الدعوة على عموم المدعوين.

وسأتناول هذه المباحث فيما يلي بشيء من التفصيل فأقول مستعيناً بالله:

المبحث الأول

البدء بالأقربين

حثّ الله تعالى في كتابه الكريم، على دعوة الأهل، وخصّهم بذلك في أكثر من موضع فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[1].

يقول ابن كثير: «قال الضحّاك ومقاتل: حق المسلم أن يعلّم أهله، من قرابته وإمائه وعبيده، مافرض الله عليهم، وما نهاهم الله عنه»[2].

وقال تعالى آمراً نبيه ﷺ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[3]. فأول واجبات الداعية أن يبدأ بدعوة أهله، وهذا مافعله عليه الصلاة والسلام، فقد ابتدأ بعرض الدعوة على زوجته خديجة فقص عليها مارأى من بدء الوحي، ثم قال: لقد خشيت على نفسي، فكان لها السبق في الاستجابة لدعوته، وتأنيسه وتيسير الأمر عليه وتهوينه لديه[4] مما دلَّ على كمالها، وجزالة رأيها، وقوة نفسها، وثبات قلبها وعظم فقهها[5] رضي الله عنها وعرض دعوته على صديقه أبي بكر رضي الله عنه فآمن به، وصدق برسالته، دون تردد، وقدبيَّن

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٣٩١.

(٣) سورة طه، الآية: ١٣٢ .

(٤) ابن حجر، فتح الباري ١/ ٣٧.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، شرح النووي ٢/ ٢٠٢.

ذلك ﷺ بقوله: «إن الله بعثني إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، وواساني بنفسه وماله..»[١].

وعرض دعوته على ابن عمه الغلام علي بن أبي طالب، ومولاه زيد بن حارثة، فآمنا وصدقا، فكان لهؤلاء الأربعة السبق إلى الإسلام، فعلي أول من أسلم من الغلمان، وخديجة أول من أسلم من النساء، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي، وأبو بكر الصديق أول من أسلم من الرجال الأحرار رضي الله عنهم أجمعين[٢].

والمقصود بيانه أنه ﷺ ابتدأ بعرض الدعوة على أهله أولاً، فدعا زوجته وصديقه وربيبه ومولاه، ثم دعا الأقربين ممتثلاً قول الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٣].

فأمره تعالى بإنذار الأقرب فالأقرب من قومه، ويبدأ في ذلك بمن هو أولى بالبداءة، ثم من يليه، وأن يقدم إنذارهم على إنذار غيرهم[٤] ذلك لأن الاهتمام بشأنهم، أولى وهدايتهم إلى الحق أقدم[٥] فهم أحق الناس بالإحسان الديني والدنيوي[٦].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذاً خليلاً» (ك٦٦ ح٣٤٦١) ٣/ ١٣٣٩.

(٢) انظر: ابن كثير، البداية والنهاية ٣/ ٢٨، ٢٩.

(٣) سورة الشعراء، الآية: (٢١٤).

(٤) الزمخشري، الكشاف ٣/ ٢٣١.

(٥) الشوكاني، فتح القدير ٣/ ١٢٠.

(٦) ابن سعدي، تيسير الكريم الرحمن، ٥/ ٥٥١.

وقد قدم ابن القيم رحمه الله، مرتبة دعوة الأقربين، فجعلها بعد النبوة، مما دلَّ على أهمية البداءة بهم، وتقديم دعوتهم على الآخرين[1].

وقد عمل ﷺ جاهداً بعد نزول هذه الآية على دعوة أقربيه وإنذارهم، فقد روى البخاري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت وأنذر عشيرتك الأقربين» صعد النبي ﷺ الصفا فجعل ينادي: «يابني فهر، يابني عدي.. لبطون قريش... الحديث»[2].

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً، فعمّ وخصّ، فقال: «يابني كعب بن لؤي، أنقذوا أنفسكم من النار.. الحديث»[3].

والنكتة في ندائه للقبائل قبل عشيرته ليكرر إنذار عشيرته، ولدخول قريش كلها في أقاربه[4] ومما يدل على دخول قريش كلها في أقاربه، ما رواه البخارى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ فقال ابن عباس عجلت لم يكن بطن من قريش إلاّ كان له فيهم قرابة....»[5].

---

(١) انظر: ابن القيم، زاد المعاد ١/ ٨٦.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ ٤/ ١٨١٩.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب في قوله تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (ك١ ح٣٤٨) ١/ ١٩٢.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ٩/ ٤٥٢.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾،

واستمر ﷺ ينذر أقربيه أولاً ويدعوهم إلى الله تعالى، والسر في ذلك أن الحجة إذا قامت عليهم تعدت إلى غيرهم، وإلاَّ كانوا علة للأبعدين في الامتناع[1] فلما ظهر من جملتهم الإصرار على الكفر والعناد، ومنعوه من تبليغ دعوة ربه، انتقل إلى الطائف، ودعاهم إلى الله، ثم عاد إلى مكة، وبدأ يعرض دعوته على القبائل، بعد أن يتعرف عليهم.

ويُستفاد من هذا التدرج مع المدعو، الإلماح إلى درجات المسؤولية التي تتعلق بكل مسلم،وبالدعاةخصوصاً، فأدنى تلك الدرجات مسؤوليته عن نفسه، ثم عن ذوي قرباه، ثم قومه، وهكذا[2].

□ □ □

= (ك٦٨ ح٤٥٤١) ٤/١٨١٩.

(١) انظر: ابن حجر، فتح الباري، ٩/ ٤٥٢.

(٢) انظر: د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ص١١٣، ١١٤.

المبحث الثاني

التعرف على المدعوين

خلق الله الناس من أصل واحد، فأبوهم آدم، وأمهم حواء، عليهما السلام، ثم جعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا[1].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ ﴾[2].

قوله: لتعارفوا أي لتعلموا، كيف تتناسبون، ولتتعرفوا[3]. يقول القرطبي: «خلق الله الخلق بين الذكر والأنثى، أنساباً وأصهاراً، وقبائل، وشعوباً، وخلق لهم منها التعارف، وجعل لهم بها التواصل»[4]. فبالتعارف يحصل التواصل، فيرجع كل إلى قبيلته، ويعرف قرب القرابة منه وبعدها[5] فدلت الآية على أن معرفة الأنساب مطلوبة مشروعة، لأن الله جعلهم شعوباً وقبائل لأجل ذلك[6].

---

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٤/ ٢١٧، وانظر: الشنقيطي، أضواء البيان ٧/ ٦٣٥.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف ٤/ ٣٧٥.

(٤) القرطبي الجامع لأحكام القرآن ٤/ ٢١٧.

(٥) المرجع السابق وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٤/ ٢١٧، وانظر: الجصاص، أحكام القرآن ٥/ ٢٩٢.

(٦) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٧/ ١٣٩.

ولقد حث ﷺ على التعرف على المدعوين بفعله، فقد كان يبدأ مدعويه بالتعرف عليهم، قبل دعوتهم فلنتأمل ماترويه لنا كتب السيرة حيال ذلك. يذكر ابن إسحاق أنه ﷺ في رحلته إلى الطائف، وحينما ألجأته ثقيف إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة التقى غلاماً لهما، اسمه «عدَّاس» فماذا دار بينهما من حوار[1]؟

يقول ابن إسحاق: «فقال له رسول الله ﷺ: ومن أي أهل البلاد أنت ياعداس؟ وما دينك؟ قال: نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى»[2].

فبدأه ﷺ بالتعرف على بلاده وديانته، فكان هذا التعرف نقطة البداية في تحول هذا الرجل من دينه إلى دين الإسلام[3].

وحينما عاد ﷺ إلى مكة، وأمره الله بعرض نفسه على القبائل، كان يأخذ معه نسابة قريش، أبا بكر الصديق[4] رضي الله عنه ليقوم بمهمة تعريفه بالمدعوين، فالتقيا وفداً فسألهم أبو بكر من القوم؟ قالوا: من ربيعة[5] فتعرفا عليهم، أولاً، ثم عرض عليهم إيواء النبي ﷺ ثانياً، ومما يدل على بداءته ﷺ بالتعرف، ما رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس بالموقف فيقول: «ألا رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشاً قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»، قال: فأتاه رجل من بني همدان، فقال:

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٤٨، ٤٩.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٤٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ٢/ ٤٩.

(٤) انظر: ابن كثير السيرة النبوية ١/ ٤٣٧.

(٥) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٧/ ٦٢٤.

«ممن أنت»؟ قال: من همدان، قال: «فعند قومك منعة؟» قال: نعم...»[1].

فبدأ بالتعرف عليه، ثم طلب منه المنعة، لكن الرجل خشي أن يخفره قومه، فوعده قابلاً.

وحينما التقى ﷺ وفد يثرب، بدأهم بسؤاله: «من أنتم»؟ قالوا: من الخزرج، قال: «أفلا تجلسون أكلمكم؟!»، قالوا نعم»[2].

فكان هذا التعرف مبدأ الحوار معهم، حيث عرض عليهم دعوته المباركة، فأسلموا، ودعوا أقوامهم، فلم يبق دار من دور الأنصار، إلاَّ وفيها ذكره ﷺ[3].

وبعد أن هاجر ﷺ إلى المدينة، استمر يتعرف على مدعويه من الوفود وغيرهم، قبل عرض الدعوة عليهم، من ذلك قوله ﷺ لوفد عبدالقيس، حين قدموا عليه: «من القوم أومن الوفد»؟ قالوا: ربيعة، قال: «مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى»[4].

وحين قدم عليه مبعوث: «هرقل» بجواب رسالته ﷺ، وهو في تبوك بدأه بقوله: «ممن أنت؟» يقول: فقلت: أنا أحد تنوخ، قال: «هل لك في

---

(١) أحمد، المسند ح (١٥١٧٣) ٣/ ٤٩٥.

(٢) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٥٤.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٧/ ٦٢٤.

(٤) البخاري، صحيح البخاري كتاب الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان (ك٢ ح٥٣، ١/ ٢٩).

الإسلام، الحنيفية ملة أبيك إبراهيم»[1].

فتعرف عليه ﷺ قبل أن يعرض عليه الإسلام، فلما عرفه دعاه إلى الإسلام.

هذه الشواهد بينت مدى حرصه ﷺ على التعرف على من يدعوهم، قبل أن يعرض الدعوة عليهم، فما الحكمة ياترى من هذا التعرف؟

المدعو هو الإنسان في قديم الزمان وحديثه، ولكل إنسان بلا شك خصائصه وطبيعته وتقاليده، فالمدعوون ليسوا سواء، في ملكاتهم العقلية، واستعدادتهم الفطرية، ولا في أخلاقهم وطباعهم وتصوراتهم، ولا في مكاناتهم الاجتماعية[2].

فمن الحكمة في التعرف على المدعوين، إنزالهم منازلهم، وقد أشار ابن حجر إلى هذه الحكمة بقوله: «قال ابن أبي جمرة في قوله، من القوم دليل على سؤال القاصد عن نفسه، ليعرف فينزل منزلته»[3].

ومن الحكمة في التعرف على المدعوين، تطييب نفوسهم، وإزالةالوحشة عنها، وذلك بالترحيب بهم، وملاطفتهم، والثناء عليهم في وجوههم، إذا أمنت الفتنة[4] ويدل على هذه الحكمة، قوله ﷺ لوفد عبدالقيس: «مرحباً بالقوم غير خزايا ولاندامى»[5]. قال صاحب الفتح الرباني: «قال ابن أبي جمرة بشرهم بالخير عاجلاً وآجلاً، لأن الندامة إنما

---

(١) أحمد البنا، الفتح الرباني ٢١/ ١٩٩.

(٢) انظر: التهامي نقرة، سيكلوجية القصة في القرآن ١/ ٤٢٢.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ١/ ٧٩. (٤) انظر: المرجع السابق ١/ ١٧٩.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب أداء الخمس من الإيمان (ك٢ ح٥٣) ١/ ٢٩.

تكون بالعاقبة فإذا انتفت ثبت ضدها»[1].

ومن الحكمة في التعرف على المدعو إتاحة الفرصة للداعية في معرفة خصائصه، وعرفه، وطبائعه، وطرق التأثير فيها، وكيفية الوصول إلى إقناعها.

ألا ترى أنه ﷺ، حينما رأى سيد الأحابيش قادماً عليه وهو في الحديبية، قال: «هذا فلان وهو من قوم يعظمون البدن فابعثوها له» فبعثت له واستقبله الناس يلبون[2].

فبمعرفته ﷺ لطبيعة هذا الرجل وتقاليده استطاع إقناعه بيسر وسهولة، حيث عاد الرجل وهو يقول: «سبحان الله ماينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت»[3].

إذاً معرفة المدعو وتقاليده وموافقته فيما يميل إليه ويهواه، من المباحات، عامل مهم في استمالته إلى دين الإسلام، روت عائشة رضي الله عنها، قالت: «رأيت النبي ﷺ يسترني، وأنا أنظر إلى الحبشة، وهم يلعبون في المسجد، فزجرهم عمر، فقال النبي ﷺ: «دعهم أمناً بني أرفدة» يعني من الأمن[4].

فلم يعنف عليهم، ﷺ تطييباً لنفوسهم، واستمالة لها إلى الإسلام.

---

(١) أحمد بن عبدالرحمن البنا، الفتح الرباني ١/ ٧١.

(٢) البخاري صحيح البخاري، كتاب ا لشروط، باب الشروط في الجهاد (ك ٥٨، ح٢٥٨١ ـ ٥٨٢) ٢/ ٩٧٦.

(٣) البخاري صحيح البخاري، المرجع السابق ٢/ ٩٧٦.

(٤) البخاري، صحيح البخاري كتاب المناقب، باب قصة الحبش، وقول النبي ﷺ: «يابني أرفدة» (ك٦٥، ح٣٣٣٧) ٢/ ١٢٩٨، ١٢٩٩.

المبحث الثالث

العناية بذوي المكانة

ذوو المكانة هم الكبراء، وهم السادة والأشراف من الناس[1] وهم الملأ الذين أشار الله تعالى إليهم في غير ماموضع من كتابه الكريم.

وقد حث الله الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لهذا الصنف على الرفق واللين والتلطف والتدرج، في بيان الحق لهم، قال تعالى مخبراً عن موسى وهارون عليهما السلام: ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ * فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾[2] فأمرهما الله بدعوة فرعون، بكلام رقيق لين سهل، ليكون أوقع في النفوس، وأبلغ وأنجح[3] ولما في ذلك من التأثير في الإجابة[4] ذلك أن الكلام الذي فيه شدة وخشونة باديً ذي بدء، من أعظم أسباب النفرة، وعدم الاستجابة، والتصلب في الكفر[5] لاسيما إذا كان المدعو من الكبراء، الذين تغلب عليهم صفة الكبر والتجبّر[6].

وبعد تعرفه ﷺ على المدعوين، كان يولي ذوي المكانة منهم عناية خاصة، بل لقد كان يولي كبراء قومه، عناية خاصة، لمكانتهم في قومهم،

---

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ٣/ ٢٤٣.

(٢) سورة طه، الآيتان: ٤٣، ٤٤.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٣/ ١٥٣.

(٤) انظر: الشوكاني، فتح القدير ٣/ ٣٦٦.

(٥) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير ٢٢/ ٥٨ وانظر: الشوكاني، فتح القدير ٣/ ٣٦٦.

(٦) انظر: الفخر الرازي، التفسير الكبير ٢٢/ ٥٨.

ومما يدل على ذلك، ما رواه ابن كثير: «اجتمع علية من أشراف قريش... فبعثوا إليه إن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك، فجاءهم رسول الله ﷺ سريعاً، وهو يظن أنه قد بدا لهم في أمره بدو، وكان حريصاً يحب رشدهم، ويعز عليه عنتهم، حتى جلس إليهم»(١).

وهكذا كان موقفه ﷺ مع عمه أبي طالب، وهو كبير قريش، حيث كان يقول له: «... وأنت أي عم، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه»(٢).

وكذلك كان موقفه ﷺ مع عتبة بن ربيعة، وهو أحد سادات قريش، فقد أظهر ﷺ من العناية به، والتلطف في دعوته، ماجعله يعود بغير الوجه الذي جاء به، ومما يدل على مكانته في قريش، قولهم: صبا أبو الوليد لتصبون قريش كلها(٣).

بل كان يبدأ بعرض الدعوة على ذوي المكانة، من الأشراف والسادة، يقول ابن إسحاق: «لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم... فدعاهم إلى الله»(٤).

ثم لما عاد ﷺ إلى مكة، كان لايسمع بقادم يقدمها من ذوي المكانة

---

(١) ابن كثير، السيرة النبوية، ١/ ٤٧٨، ٤٧٩.
(٢) ابن هشام، السيرة النبوية ١/ ٢٢٩.
(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٣٩.
(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/ ٤٧، ٤٨.

والشرف إلاّ تصدى له، فدعاه إلى الله، وعرض عليه ماعنده[1].

ثم بدأ يعرض دعوته على وفود العرب، في موسم الحج وأسواق العرب، وكانت مناسبات هامة للالتقاء بذوي المكانة من رؤساء العرب وكان يصطحب معه نسابة قريش أبا بكر الصدّيق رضي الله عنه[2] ليقوم بمهمة تعريفه بذوي المكانة والشرف من هؤلاء الوفود فيبدأهم بعرض الدعوة عليهم[3].

و «مصعب بن عمير» وهو أحد تلامذته ﷺ، ومبعوثه إلى يثرب، ليقوم بمهمة الدعوة والتعليم، هذا الداعية أظهر عناية عظيمة بذوي المكانة، من الأشراف والسادة في المجتمع المدني، فقد استفاد من «أسعد بن زرارة» رضي الله عنه وهو من ذوي المكانة في قومه، حيث نزل ضيفاً عليه، وأخذ يصطحبه في جولاته الدعوية[4] ليقوم بمهمة تعريفه بذوي المكانة والشرف ليوليهم عناية خاصة في الدعوة فحينما دخلا حائط بني عبدالأشهل، وأقبل عليهما أسيد بن حضير لزجرهما، (فلما رآه «أسعد بن زرارة» قال لمصعب ابن عمير: هذا سيد قومه، قد جاءك، فاصدق الله فيه»[5].

وحينما أسلم «أسيد بن حضير» وانضم إلى سلك الدعوة، قال لهما

---

(١) انظر: ابن هشام السيرة النبوية ٢/ ٥٢.

(٢) انظر: ابن كثير، السيرة النبوية، ١/ ٤٣٧.

(٣) انظر: د. زيد بن عبدالكريم الزيد، وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير إلى المدينة ص٣٦.

(٤) انظر: المرجع نفسه ص٢٧، ٢٨.

(٥) ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٥٩.

مبيناً مكانة «سعد بن معاذ» في قومه: «إن ورائي رجلاً، إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن، سعد بن معاذ»[1] فلما أقبل سعد، قال أسعد بن زرارة لمصعب: «أي مصعب، جاءك والله سيد من وراءه من قومه، إن يتبعك لايتخلف عنك منهم اثنان»[2].

فكان لهذه العناية بهذين الرجلين، الأثر البالغ حيث أسلم بإسلامهما جميع دور بني عبدالأشهل[3].

ويبين ﷺ الحكمة في العناية بذوي المكانة بقوله: «لو آمن بي عشرة من اليهود، لآمن اليهود»[4].

يقول ابن حجر: «والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود ومن عداهم كان تبعاً لهم»[5].

فهؤلاء العشرة الذين هم من علماء اليهود ورؤسائهم، والذين يقتدي بهم اليهود، لو أسلموا لقادوا سائرهم إلى الإسلام[6]. وتأمل موقفه ﷺ مع سيد أهل اليمامة ثمامة بن أثال رضي الله عنه يتبين لك مدى عنايته ﷺ بذوي المكانة من الأشراف والسادة، الذين يرجى بإسلامهم إسلام أتباعهم.

---

(١) ابن هشام، المرجع السابق ٢/ ٥٩.
(٢) ابن هشام السيرة النبوية ٢/ ٥٩.
(٣) انظر: ابن هشام، المرجع السابق ٢/ ٦٠.
(٤) صحيح البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة (ك٦٦ح٣٧٢٥) ٣/ ١٤٣٤.
(٥) ابن حجر فتح الباري ٧ص٦٩٥.
(٦) انظر: أحمد البنا، الفتح الرباني ١/ ١٠٢.

يقول ابن حجر، مبيناً فائدة جليلة في عناية الرسول ﷺ بثمامة: «وفيه الملاطفة بمن يرجى إسلامه، إذا كان في ذلك مصلحة للإسلام، ولاسيما من يتبعه على إسلامه العدد الكثير من قومه»[1].

وفي هذا الصدد يعلّق النووي قائلاً: «هذا من تأليف القلوب، وملاطفة لمن يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير»[2].

وقد صلى عليه الصلاة والسلام، على رأس المنافقين عبدالله بن أبي، واستغفر له، إلى أن نهي عن ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾[3].

فما السر في عنايته ﷺ بهذا الرجل، وهو من أكبر أعداء الدعوة، في عهدها المدني؟

يشير ابن حجر إلى السر في ذلك بقوله: «قال الخطابي: إنما فعل النبي ﷺ مع عبدالله بن أبي مافعل، لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده عبدالله، الرجل الصالح، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم»[4].

ولو تأملت رسائله ﷺ في الدعوة إلى الإسلام لوجدتها تصدر لمن لهم المكانة والتعظيم من قبل أقوامهم: «من محمد رسول الله ﷺ إلى عظيم

---

(١) ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٤٢١.

(٢) النووي، شرح صحيح مسلم ١٢/ ٨٩.

(٣) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ٩/ ٢٣٥.

الروم»[1]. والمراد من تعظمه الروم، وتقدمه للرياسة عليها[2].

فدل على عنايته ﷺ بذوي المكانة والرياسة وتقديمهم في الدعوة والمخاطبة، ويشير ابن تيمية إلى نكتة في هذا الشأن فيقول: «وطالب الرئاسة - ولو بالباطل - ترضيه الكلمة التي فيها تعظيمه وإن كانت باطلاً، وتغضبه الكلمة التي فيها ذمه، وإن كانت حقًّا»[3].

ومما يدل على عنايته ﷺ بهذا الصنف من المدعوين، أنه كان يجزل العطاء لبعض ضعفاء الإيمان، ممن لهم المكانة في أقوامهم، ويعلل ذلك بقوله: «إنه رأس قومه، فأنا أتألفهم به»[4].

وهكذا فعل ﷺ في حنين، وقد دانت له العرب فقد أجزل العطاء لبعض ذوي المكانة من الأشراف والسادة، فقد روى البخاري - رحمه الله - عن عبدالله بن مسعود قال: (لما كان يوم حنين، آثر النبي ﷺ أناساً في القسمة: فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل، وأعطى عيينة مثل ذلك، وأعطى أناساً من أشراف العرب، فآثرهم يومئذ في القسمة...»[5].

فآثر ﷺ هؤلاء السادة بهذا العطاء، ترغيباً لهم ولأقوامهم في الإسلام، لما لهم من مكانة وسيادة، تجعل أقوامهم تبعاً لهم[6].

---

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء﴾ (٦٨ ح٤٢٧٨) ٤/ ١٦٥٧.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٩/ ٨٦.

(٣) ابن تيمية، مجموع فتاوى ١٠/ ٥٩٩.

(٤) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١/ ١٤٤.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ماكان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (ك٦١ ح٢٩٨١) ٣/ ١١٤٨.

(٦) انظر: أحمد البنا، الفتح الرباني ٩/ ٦٢.

المبحث الرابع

عرض الدعوة على عموم المدعوين

لم يأل ﷺ جهداً في عرض دعوته على كل من يلقاه وتبليغها لكل أحد عملاً بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾(١).

فاتسمت بعثته ﷺ بالعموم ورسالته بالشمول لجميع البشر لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٢) ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ﴾(٣).

ويدل على ذلك من السنة ماروواه البخاري عن جابر بن عبدالله: أن النبي ﷺ قال: «**أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ـ وفيه ـ وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة**»(٤).

وحيث قد بعث ﷺ في أمة جاهلية يعبدون الأصنام ويشركون بالله تعالى فاقتضت الحكمة أن يبدأ بالدعوة إلى الإسلام ثم لما تكونت الجماعة المسلمة بدأ ﷺ يدعوهم ويربيهم التربية الإسلامية الأصيلة.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٦٧.

(٢) سورة سبأ الآية: ٢٨.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٤) البخاري، صحيح البخاري كتاب التيمم قول الله تعالى: ﴿فإن لم تجدوا ماءً فتيمموا صعيداً طيباً﴾ (ك٧ ح٣٢٨) ١/١٢٨.

وفيما يلي التفصيل حول عرض دعوته ﷺ على غير المسلمين ثم دعوته للمسلمين.

□ أولاً دعوة غير المسلمين :

لم تشغله ﷺ العناية بذوي المكانة عن دعوة الآخرين فقد كان ﷺ يدعو كل من لقيه إلى الإسلام قال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۚ بَلۡ هُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[2].

يقول القرطبي: «قال قتادة يعني قريشاً» كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير من قبل محمد ﷺ[3].

وقيل: العرب قاطبة الذين لم يزالوا خالين من الكتب، عادمين للرسل، قد عمتهم الجهالة وغمرتهم الضلالة[4] فكان ﷺ في مبدأ بعثته يدعو كل من لقيه إلى الإسلام فقط، روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما نزلت وأنذرعشيرتك الأقربين... جعل النبي ﷺ يدعوهم قبائل قبائل»[5]. وروى مسلم في حديث إسلام عمرو بن عبسة رضي الله عنه وفيه:

---

(١) سورة إبراهيم الآيتان ١، ٢.

(٢) سورة السجدة، الآية:٣. ٠

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٨٥.

(٤) انظر: السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٦/ ٣٣٤.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب من انتسب إلى آبائه في الإسلام أو الجاهلية (ك٦٥ ح٣٣٣٥) ٣/ ١٢٩٨.

«فقلت إني متبعك قال: «إنك لاتستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس؟ ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني»[1]. فاكتفى منه ﷺ بالإسلام دون المتابعة وكذلك فعل ﷺ مع أبي ذر رضي الله عنه حيث قال له: «ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري»[2]. فكان ﷺ في هذه الفترة الزمنية المتقدمة من البعثة يدعوإلى الإسلام فقط فكان لايسمع بأحد قادم مكة إلاّ تصدّى له ودعاه إلى الإسلام[3] وحين قدم سويد ابن الصامت إلى مكة حاجًا أو معتمراً تصدّى له ﷺ ودعاه إلى الإسلام[4] وكذلك فعل مع وفد بني عبد الأشهل حينما قدموا يلتمسون الحلف من قريش على الخزرج فجاءهم ﷺ ودعاهم إلى الإسلام[5].

واستمر ﷺ بعد هجرته يدعو إلى الإسلام فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينا نحن في المسجد خرج رسول الله ﷺ فقال: «انطلقوا إلى يهود» فخرجنا معه حتى جئنا بيت المدراس فقام النبي ﷺ فناداهم فقال: «يامعشر يهود أسلموا تسلموا» فقالوا: بلغت ياأبا القاسم، قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «ذلك أريد أسلموا تسلموا...»[6]. يقول ابن حجر:

---

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وحصرها، باب إسلام عمرو ابن عبسة (ك٦ ح٨٣٢) ١/ ٥٦٩.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفضائل، باب إسلام أبي ذر الغفاري رضي الله عنه (ك٦٦ ح٣٦٤٨) ٣/ ١٤٠١.

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٢/ ٥٢.

(٤) انظر: ابن هشام المرجع السابق ٢/ ٥٣.

(٥) انظر: ابن هشام المرجع السابق ٢/ ٥٤.

(٦) البخاري، صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب قوله تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ (ك٩٩ ح٦٩١٦) ٦/ ٢٦٧٤، ٢٦٧٥.

«وجه ذلك أنـه بلَّغ اليهود ودعاهم إلى الإسـلام والاعتصام به»[1]. وكان بعد هجرتـه ﷺ يشترط على كل مـن يسلم الهجرة إلى المـدينة فما الحكمـة في هذا الاشتراط؟

يشير ابـن حجر إلى الحكمة فـي ذلك فيقول: «كـانت الهجرة فرضـاً في أول الإسـلام علـى مـن أسلم لقلـة المسلمين بـالمـدينـة وحـاجتهم إلـى الاجتماع»[2]. فدل على أن الهجرة كانت عينـاً على كل من أسلم قبل الفتح لنصرة الإسلام وإكثـار سواد المسلمين[3] فلما فتح الله مكـة ودخل الناس في دين الله أفواجاً سقـط فرض الهجرة إلى المدينة وبقي فـرض الجهاد والنية[4] قال ﷺ: «**لاهجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية..**»[5]. أي: لاهجرة إلى المدينة أما أَصل الهجـرة من بلاد الكفر إلى بـلاد الإسلام فهذا قـائم إلى أَن يرِث الله الأَرض ومن عليها[6].

□ ثانياً: دعوة المسلمين:

كما كـان ﷺ يدعو طيلـة العهد المكي إلى الإسـلام فقد كان طيلـة هذا العهد يربـي من يدخل في الإسلام التـربية الإيمانية الحقـة، فقد استطاع ﷺ

---

(١) ابن حجر، فتح الباري ١٥/ ٢٥٣.

(٢) ابن حجر، فتح الباري ٦/ ١٢٢.

(٣) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٦/ ١٢٠

(٤) ابن حجر، المرجع السابق ٦/ ١٢١.

(٥) البخاري، صحيح البخاري، كتـاب الجهاد، باب وجوب النفير ومـايجب من الجهاد والنية، (٦٠ ح٢٦٧٠) ٣/ ١٠٤٠.

(٦) ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٦٣٥.

في هذه الفترة أن يربي عدداً من أصحابه ويكون منهم جماعة متميزة بعقيدتها وسلوكها، وهدفها في الحياة يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويطهرهم من أخلاق الجاهلية وعاداتها بترسيخ الإيمان في نفوسهم تدريجياً كلما نزل شيء من القرآن قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[1] وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[2]وقد بينت كتب السيرة اهتمامه ﷺ البليغ بتربية من استجاب للدعوة والعمل على تزكيتهم وتربيتهم على هدى الإسلام، لبناء قاعدة إسلامية صلبة للدولة المسلمة وذلك عن طريق تعليمهم دينهم وتطبيق الإسلام في حياتهم، وتعميق معاني الأخوة فيما بينهم وحثهم على تحمل الأذى، والصبر في سبيل الدعوة[3] يدل على ذلك ما رواه البخاري عن خباب بن الأرت قال: «شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، فقلنا له ألا تستنصر لنا! ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه... الحديث**»[4]. فدلَّ الحديث على عنايته

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ٢.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.

(٣) انظر: محمد أبوالفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، ص٨٣.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (ك٦٥ ح٣٤١٦) ٣/ ١٣٢٢.

ﷺ بتعليمهم وتأديبهم وإعدادهم[1].

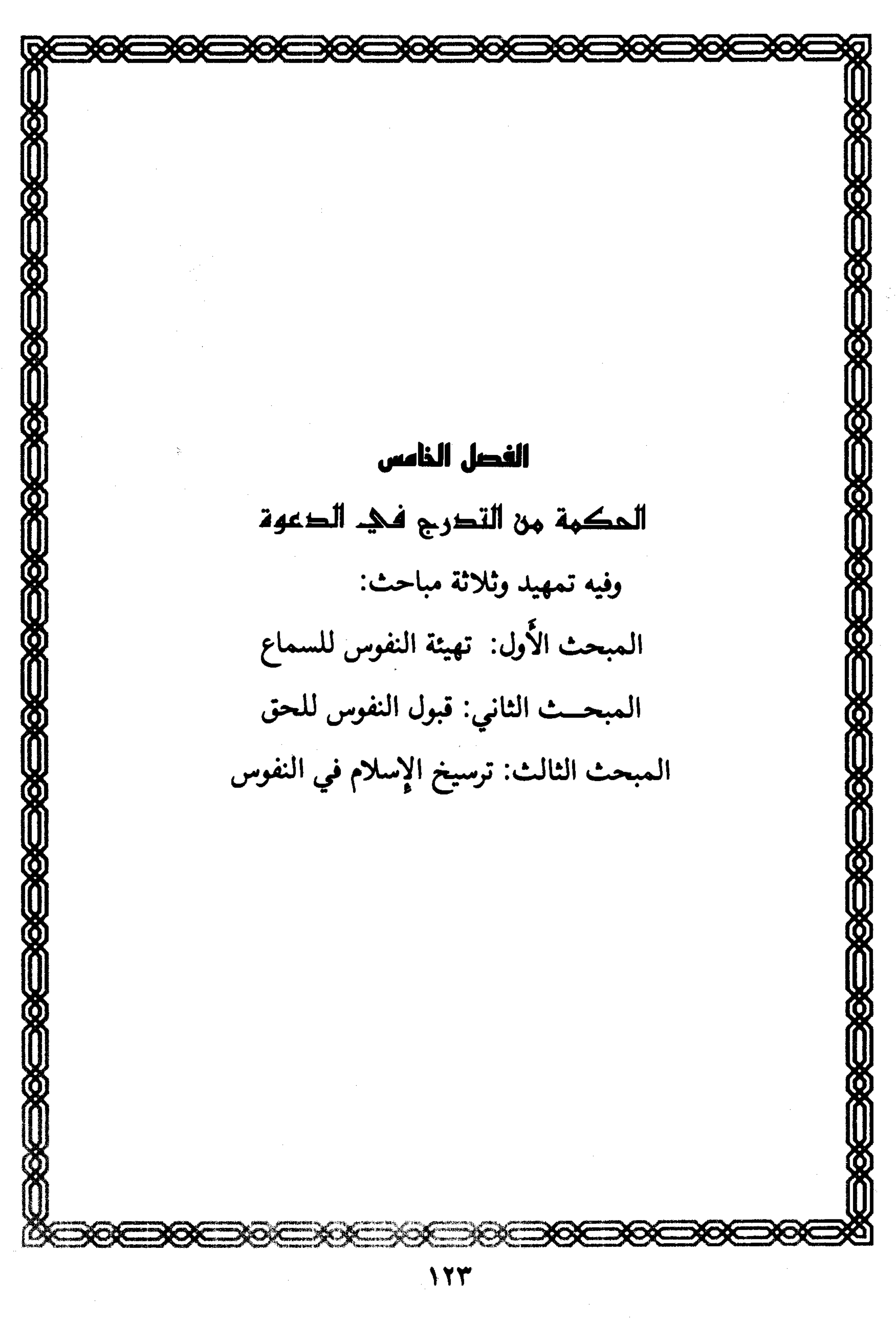
فكان من خريجي هذه المدرسة النبويـة العظيمة من قام بواجب الدعوة والتبليغ خير قيام أمثال جعفر بن أبي طـالب ومصعب بن عمير وغيرهما رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وبعد هجرته ﷺ إلى المدينة لم تنقطـع هذه التربية فاتخذ ﷺ المسجد مقراً لدعـوته حيث يلتقي أصحابـه يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم مـاشرع الله لهم من الشـرائع ويحثهم على التواصي بـالحق والأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر[2] مهتدياً بقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[3].

وكان عليـه الصلاةوالسلام يتخـولهم بالموعظـة خشية السآمـة يدل على ذلك ماروواه البخاري عن ابـن مسعود قال: «كان النبي ﷺ يتخولنا بـالموعظة في الأيـام كـراهة السـآمة علينـا»[4]. ويبين ابـن حجر فـائدة مهمة في هـذا الحديث فيقول: «وفيـه رفق النبي ﷺ بأصحابه وحسـن التوصل إلى تعليمهم وتفهيمهم ليأخذوا عنه بنشاط لاعن ضجر ولاملل»[5].

---

(١) انظر: علي بن جابر الحربي، منهج الدعوة النبوية في المرحلة المكية، ص٣٩٩.
(٢) انظر: محمد الشديد، منهج القرآن في التربية، ص١١.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤١.
(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الدعوات، باب المـوعظة ساعة بعد ساعة (ك٨٣ ح٦٠٤٨) ٥/٢٣٥٥.
(٥) ابن حجر، فتح الباري ١٢/ ٥٣٢.



الفصل الخامس

الحكمة من التدرج في الدعوة

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تهيئة النفوس للسماع

المبحث الثاني: قبول النفوس للحق

المبحث الثالث: ترسيخ الإسلام في النفوس

تمهيـــــد

بعـد أن بينت فـي الفصـول السابقـة تـدرجـه ﷺ فـي الدعـوة بـاعتبـار الموضوع تـوحيداً وشريعة، وباعتبـار الوسيلة والأسلوب ، وباعتبـار المدعوين بقي أن أبين الحكمة من هـذا التدرج الحكيم. وهذا ماسـوف أتناوله بإذن الله في هذا الفصل، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأَول: تهيئة النفوس للسماع.

المبحث الثاني: قبول النفوس للحق.

المبحث الثالث: ترسيخ الإسلام في النفوس.

وفيما يلي التفصيل في هذه المباحث.

المبحث الأول

تهيئة النفوس للسماع

بالتدرج في الدعوة، تتهيأ النفوس للسماع، فالحجة لاتقوم على المدعوين إلاَّ بالسماع[1] ولذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بإجارة المستجير من المشركين لأن إجارته تهيئة لنفسه للسماع، فقال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[2].

فأوجب سبحانه كف القتال عمن أظهر الرغبة في سماع كلام الله[3] بل جعل الغاية من إجارته إسماعه كلام الله ليكون كلام الله أول مايقرع سمعه فيقع من نفسه موقع التمكن، وبذلك تقوم عليه الحجة[4].

وإذاً فلا ضير من إعطاء المشركين الفرصة لكي تتهيأ نفوسهم لسماع القرآن ومعرفة هذا الدين، لعل قلوبهم تتفتح وتتلقى وتستجيب، فتزكو تلك القلوب، وتطيب تلك النفوس.

وقد فعل ﷺ ذلك فقد كان يهيئ نفوس المشركين للسماع، فحينما

---

(١) انظر: ابن تيمية، التفسير الكبير ٦/ ٣٣.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٦.

(٣) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار ١٠/ ١٧٧.

(٤) انظر: المرجع السابق ١٠/ ١١٨.

جاءه عتبة بن ربيعة، لمفاوضته ﷺ هيأ نفسه للسماع أولاً بقوله: «قد فرغت ياأبا الوليد..» قال نعم، فقال: «يابن أخي فاسمع»[1].

ولا يخفى على أحد ما في هذه الملاطفة والتكنية من تهيئة للنفس للسماع، وحين اتكأ عتبة على يديه وقال: أسمع، أسمعه ﷺ صدراً من سورة فصلت[2].

ونجد مصعب بن عمير، وهو مبعوثه ﷺ للدعوة، يبدأ بتهيئة نفوس مدعويه للسماع، فحينما جاءه كل من زعيمي بني عبد الأشهل، أسيد ابن حضير، وسعد بن معاذ رضي الله عنهما كان يبدأهما بعرض السماع أولاً، فيقول: «أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته. وإن كرهته كف عنك ماتكرهه»[3].

وبهذه الملاطفة والعرض المنصف، هيأ نفسيهما للسماع، فلما سمعا أسلما، وأسلم أقوامهما[4].

وقد كان ﷺ يهيئ نفوس أصحابه للسماع فقد روى البخاري عن جرير أن النبي ﷺ قال له في حجة الوداع: «استنصت الناس» فقال: «لا ترجعوا بعدي كفَّاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[5].

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٣٣٨.

(٢) انظر: المرجع السابق ٥/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٣) ابن هشام السيرة النبوية ٢/ ٥٩.

(٤) انظر: المرجع السابق ٢/ ٦٠.

(٥) البخاري صحيح البخاري كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء (ك٣/ ح١٢١) ١/ ٥٦.

فدل الحديث على أنَّه ﷺ استنصت أصحابه قبل أن يعظهم ليهيء نفوسهم لسماع كلامه، ثم حفظه ثم العمل به، ونشره، وقد ذكر ابن حجر حكمة عظيمة بيَّن فيها التدرج في تلقي العلم، وأن أوله الاستماع فقال: «قال سفيان الثوري وغيره: أول العلم الاستماع، ثم الإنصات، ثم الحفظ، ثم العمل، ثم النشر»[1].

ومما كان يهيئ به ﷺ نفوس أصحابه للسماع والفهم أنه عليه الصلاة والسلام كان يبدؤهم بالسؤال أولاً ثم يلقي عليهم المسألة، يدل على ذلك ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله ﷺ خطبَ الناس يوم النحر فقال: «ياأيُّها الناس أي يوم هذا»، قالوا: يوم حرام، قال: «فأي بلد هذا». قالوا بلد حرام، قال: «فأي شهر هذا» قالوا: شهر حرام، قال: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا...»[2].

فكرر ﷺ السؤال ثلاث مرات ليكون أبلغ في فهمهم وإقبالهم على كلامه ، يشير إلى ذلك ابن حجر رحمه الله بقوله : «قال القرطبي : سؤاله ﷺ عن الثلاثة وسكوته بعد كل سؤال منها كان لاستحضار فهومهم وليقبلوا عليه بكليتهم وليستشعروا عظمة ما يخبرهم عنه ، ولذلك قال بعد هذا : فإن دماءكم... إلخ، مبالغة في تحريم هذه الأشياء انتهى»[3].

---

(١) ابن حجر، فتح الباري ١/ ٢٩٤.

(٢) البخاري صحيح البخاري، كتاب الحج، باب: الخطبة أيام منى (ك٣٢ح١٦٥٢) ٢/ ٦١٩.

(٣) ابن حجر، فتح الباري ١/ ٢١٤.

ويقول صاحب تيسير العزيز الحميد في شرح هذا الحديث مبيناً الحكمة في البدء بالسؤال: «وأخرج السؤال بصيغة الاستفهام، ليكون أوقع في النفس وأبلغ في فهم المتعلم، فإن الإنسان إذا سُئِلَ عن مسألة لا يعلمها ثم أخبر بها بعد الامتحان بالسؤال عنها، فإن ذلك أوعى لفهمها وحفظها وهذا من حسن إرشاده وتعليمه ﷺ»(1).

وتأمل موقفه ﷺ مع ثمامة بن أثال رضي الله عنه حيث أبقاه مربوطاً في سارية في المسجد ثلاثة أيام، وقد أكرمه ﷺ غاية الإكرام ثم منّ عليه، فكان لهذا التعامل أثره في تهيئة نفسه لسماع القرآن، ورؤية النبي ﷺ، ومعرفة تعامله مع أصحابه، فانقلب بغضه للرسول ﷺ حباً، في ساعة واحدة(2).

ومما كان يهيئ به ﷺ النفوس للسماع، الترحيب بالقادم والتلطف معه وتأنيسه والثناء عليه، كما فعل ﷺ مع وفد عبدالقيس، حيث أثنى عليهم وأخبر أنهم خير أهل المشرق، فاستقبلهم عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ وبشرهم بذلك، ثم بعد وصولهم، رحب بهم ﷺ(3) حيث قال لهم: «مرحباً بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى»(4).

---

(1) الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص٦٥.

(2) انظر: ابن حجر، فتح الباري ٨/ ٤٢١.

(3) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١/ ١٧٨، ١٧٩.

(4) سبق تخريجه. انظر ص١٠٨ من هذا البحث.

فدلَّ ذلك على أن الاهتمام بالمدعوين مدخل طبيعي إلى نفوسهم[1] وله أثره في تلقي النفوس للحق وقبوله[2] وبالتدرج في الدعوة، تظهر أهمية مراعاة العوامل النفسية لدى المدعوين[3] وبهذا الاهتمام وتلك المراعاة، تتهيأ نفوسهم لسماع الحق ومن ثَمَّ قبوله.

□ □ □

(١) انظر: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، وظيفة الأخبار في سورة الأنعام، ص٤٥٩.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٢٥٢.

(٣) انظر: المرجع السابق ص٢٥٧، ٢٥٨.

المبحث الثاني

قبول النفوس للحق

النفوس المستمعة أصناف، منها المعرض الممتنع، ومنها من سمع ولم يفقه المعنى، ومنها من فقه ولم يقبل، ومنها من سمع سماع فقه وقبول[1] وهذا الأخير، هم الذين تتهيأ نفوسهم للقبول، وقد ذكرهم الله بقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾[2]

وبشرهم وأثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[3] وبشرهم ﷺ وأثنى عليهم بقوله: «نضّر الله امرءاً سمع منا حديثاً فحفظه، حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه، إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه، ليس بفقيه»[4]. هذا الصنف المستمع سماع فقه وقبول، هم الذين تدرج الشارع في دعوتهم، فكانت التشريعات الإلهية والتوجيهات النبوية، تتدرج في تهيئة نفوسهم للقبول شيئاً فشيئاً.

تصف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها هذا التدرج فتقول: «... إنما

---

(١) انظر: ابن تيمية، التفسير الكبير ٦/ ٣١٢.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٣) سورة الزمر، الآية: ١٧.

(٤) محمد ناصر الدين الألباني، صحيح سنن ابن ماجه ١/ ٤٤، ٤٥.

نزل أول ما نـزل منه ـ أي القرآن ـــ سورة من المفصل، فيها ذكـر الجنة والنار، حتى إذا ثاب النـاس إلى الإسلام، نـزل الحلال والحرام، ولـو نزل أول شيء: لاتشربـوا الخمر، لقالوا: لانـدع الخمر أبداً، ولو نـزل: لاتزنوا، لقالـوا: لا ندع الزنا أبداً.... الحديث»[1].

لاشك أن الحكمة في هذا التدرج الحكيـم، تهيئة النفوس للقبول، وإلى ذلك يشير ابن حجـر في قوله: «... فلما اطمأنت النفـوس على ذلك، أنزلت الأحكام، ولهـذا قالت: «ولـو نزل أول شيء لاتشـربوا الخمر لقـالوا لانـدعها» وذلك لما طبعت عليه النفوس، من النفرة عن ترك المألوف»[2].

ويفهم مـن هـذا أن عدم التـدرج، لايـؤدي إلـى القبول، بـل يـؤدي إلى النفرة غـالباً، وقـد أشار جمـاعة مـن العلماء إلى هـذا بقولهـم: «إن الله تبارك وتعالى لعظم حكمتـه في التشريع، إذا أراد أن يشرع أمراً شـاقاً على النفوس، كان تشريعـه له على سبيل التدرج، لأن إلـزامه بغتة في وقت واحـد، من غير تدرج، فيه مشقة عظيمة، علـى الذين كلفوا به»[3] وبالتالي فلا تتهيأ نفوسهم لقبول ذلك التشريع، وقد أشارت إلى ذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بقولها: «ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لاندعها»[4].

فدل علـى أن التدرج، يهيئ النفوس للقبـول والتلقي وقد بين ابـن حجر

---

(١) البخاري صحيح البخاري كتاب فضـائل القرآن باب تأليف القرآن (ك٦٩ ح٤٧٠٧) ٤/ ١٩١٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري ١٠/ ٤٨. (٣) الشنقيطي، أضواء البيان ٥/ ٧٠٠.

(٤) انظر الهامش رقم (١).

ذلك بقوله: «وكذلك تعلّم العلم، ينبغي أن يكون بالتدريج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً، حبب إلى من يدخل فيه وتلقاه بانبساط...»[١].

ذلك أن ترك التشديد، على من قرب إسلامه، في الابتداء، والتلطف في الزجر عن المعاصي، يهيىء النفوس للقبول[٢].

هذا ماكان يفعله ﷺ مع مدعويه، وقد شهد بهذا أحد الصحابة الكرام إذْ يقول رضي الله عنه: «..فبأبي هو وأمي مارأيت معلماً قبله ولابعده أحسن تعليماً منه، فوالله ماكهرني[٣] ولاضربني، ولاشتمني قال: «إن هذه الصلاة لايصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن»[٤]. يقول النووي: (فيه بيان ماكان عليه رسول الله ﷺ من عظيم الخلق، الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل، ورأفته بأمته، وشفقته عليهم، وفيه التخلق بخلقه ﷺ، في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه»[٥].

والنفوس التي سمعت ولم تقبل، كان ﷺ يهيئها للقبول بشيء مما تحبه النفوس، كالعطاء أو غيره، يدل على ذلك مارواه الإمام مسلم في صحيحه: «أن النبي ﷺ غزا غزوة الفتح، ثم خرج بمن معه من المسلمين، فاقتتلوا

---

(١) ابن حجر، فتح الباري ١/ ٢٢٠. (٢) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١/ ٢٢٠.

(٣) الكهر: الانتهار وقد كهره يكهره إذا زبره واستقبله بوجه عبوس. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث ٤/ ٢١٢.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة (ك٥ ح٥٣٧) ١/ ٣٨١.

(٥) مسلم، شرح صحيح مسلم ٥/ ٢٠.

بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله ﷺ يومئذ صفوان بن أمية، مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة، قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليَّ، فما زال يعطيني، حتى إنه لأَحبّ الناس إليّ»[1].

فصفوان رضي الله عنه ممن سمع كثيراً ولم يقبل ولكن حينما أعطاه النبي ﷺ هذا العطاء كان سبباً في قبوله وتغير مشاعره نحو الرسول ﷺ، ونحو الإسلام، يدل على ذلك قول أنس رضي الله عنه: «إن كان الرجل ليسلم مايريد إلاّ الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وماعليها»[2].

□ □ □

(١) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئاً قط فقال لا، وكثرة عطائه (ك٥ ح٥٣٧) ١/ ٣٨١.

(٢) مسلم، المرجع السابق (ك٤٣ ح٢٤١٢) ٤/ ١٨٠٦.

المبحث الثالث

ترسيخ الإسلام في النفوس

إن قبول النفوس للحق، واتعاظها بالمواعظ يؤدي لاشك إلى رسوخها في الحق وثباتها عليه يدل على ذلك قوله عزوجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[1]

ذكر الفخر الرازي في هذا التثبيت ثلاثة أوجه:

١ ــ أن ذلك أقرب إلى ثباتهم عليه، واستمرارهم، لأن الطاعة تدعو إلى أمثالها.

٢ ـ أن يكون أثبت وأبقى لأنه حق، والحق ثابت باق والباطل زائل.

٣ ـ أن الإنسان يطلب أولاً تحصيل الخير، فإذا حصّله يطلب أن يصير ذلك الحاصل ثابتاً باقياً[2].

وتظهر لنا حكمة التدرج في ترسيخ هذا الدين في النفوس في الوجه الثالث من هذا القول حيث البدء بطلب الخير ثم طلب بقائه وثباته.

وإنما كان العمل، وإتيان الأُمور الموعوظ بها، في الدين، يزيد العامل قوة وثباتاً، لأن الأَعمال هي التي تطبع الأَخلاق والملكات في نفس العامل، وتبدد المخاوف والأوهام من نفسه[3] ولايكون ذلك إلا بالتدرج، ذلك أن العبد القائم بما أمر به، لايزال يتمرن على الأوامر الشرعية حتى يألفها،

(١) سورةالنساء، الآية ٦٦.

(٢) الفخر الرازي، التفسير الكبير ١٠/ ١٦٨.

(٣) انظر: محمد رشيد رضا، تفسير المنار ٥/ ٢٤٣.

ويشتاق إليها، وإلى أمثالها، فيكون ذلك معونة له على الثبات على الطاعات[١] بل تكون عاقبته غالباً طلب الازدياد بخلاف ضده[٢].

هذا الثبات على الطاعات يدعوه إلى أن يجود بنفسه، حين يجد أنه قد تجاوز تلك الأوامر الشرعية، وارتكب مايوجب حداً من حدود الله، روى البخاري عن جابر بن عبدالله الأنصاري: «أن رجلاً من أسلم أتى رسول الله ﷺ، فحدَّثه أنه قد زنى، فشهد على نفسه أربع شهادات، فأمر به رسول الله ﷺ فرجم...»[٣]. فانظر كيف أدّى به هذا الثبات، إلى الإصرار على طلب التطهير، بإقامة الحد عليه، ولم يرجع عن إقراره مع إمكان الرجوع[٤] ومما يدل على أن التدرج يؤدي بصاحبه إلى الازدياد مارواه أصحاب السنن عن . عمر رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في البقرة، فدعي عمر فقرئت عليه فقال عمر: اللهم بيِّن لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ﴾، فدعي فقرئت عليه، فقال:اللهم بين لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزلت الآية التي في المائدة، فدعي عمر فقرئت عليه، فلما بلغ: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ قال عمر: انتهينا انتهينا[٥] وأريقت الخمر حتى جرت في سكك المدينة[٦].

---

(١) السعدي، تيسير الكريم الرحمن ٢/ ٩٥. (٢) ابن حجر، فتح الباري ١/ ٢٢٠.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رجم المحصن (ك٩٠ ح٦٤٢٩) / ٢٤٩٨، ٢٤٩٩.

(٤) انظر: ابن حجر، فتح الباري ١٤/ ٨٤.

(٥) النسائي، سنن النسائي، كتاب الأشربة، ح ٥٥٤٠، ٨/ ٢٨٦، أحمد بن حنبل، المسند، ح ٣٧٨، ١/ ٦٤.

(٦) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٢/ ٩٣.



الفصل السادس

التدرج في الدعوة في العصر الحاضر

وفيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى: التدرج في الدعوة إلى الموضوع

المسألة الثانية: التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة والأسلوب

المسألة الثالثة: التدرج في الدعوة باعتبار المدعو

رغبة في استكمال الفائدة من هذا البحث حول التدرج في دعوة النبي ﷺ فقد رأيت الاتصال بعلمائنا الأفاضل وطرح بعض الأسئلة المتعلقة بالتدرج في الدعوة موضوعاً ووسيلة وأسلوباً ومدعواً ومعرفة آرائهم في ذلك وهم:

١ ـ سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز المفتي العام للملكة العربية السعودية والرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء.

٢ ـ فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين عضو هيئة كبار العلماء والأستاذ في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم وإمام وخطيب الجامع الكبير بعنيزة.

٣ ـ فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء وإمام وخطيب جامع الأمير متعب بن عبدالعزيز بالرياض.

وقد وجدت من لدن علمائنا ـ بفضل الله سبحانه وتعالى ـ الإجابة الوافية الكافية حول هذا الموضوع المهم، فقمت بتفريغ ما تجمّع لدي من أشرطة وتصنيفها في ثلاث مسائل على النحو التالي:

المسألة الأولى : التدرج في الدعوة إلى الموضوع.

المسألة الثانية: التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة والأسلوب.

المسألة الثالثة: التدرج في الدعوة باعتبار المدعو.

وفيما يلي التفصيل في هذه المسائل:

المسألة الأولى

التدرج في الدعوة إلى الموضوع

أولاً : أهمية البدء بالتوحيد :

تقدَّم لنا أن موضوع الدعوة هو الدين الإسلامي، وأن أصل الدين الإسلامي هو التوحيد، فقد بدأ به جميع الأنبياء باختلاف أزمانهم وأمكنتهم، فدل على أهمية البداءة به، في كل مكان وزمان، وقد اتفق العلماء على القول بذلك، يقول الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ رحمه الله ـ مبيناً أهمية البدء بالتوحيد: «فاعلم أن العبادة لا تسمى عبادة إلا مع التوحيد، كما أن الصلاة لا تسمى صلاة إلا مع الطهارة، فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت، كما يحدث إذا دخل الحدث في الطهارة، كما قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾[1]»[2].

ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «فإنه ﷺ لما بعثه الله بدأ الناس بالدعوة إلى التوحيد في مكة، وترك الشرك، هذا أول شيء يبدأ به، قبل كل شيء يدعو الناس إلى توحيد الله، ونبذ آلهتهم المعبودة من دون الله، من أشجار وأحجار وأصنام وغيرها، ولهذا لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا

---

(١) سورة التوبة الآية (١٧).

(٢) الشيخ عبدالرحمن بن قاسم «الدرر السنية» ٢/ ١٧.

إلـه إلا الله وفي لفـظ: فادعهـم إلى أن يشهـدوا أن لا إلـه إلا الله وأني رسـول الله»[1]. فأمره أن يـدعوهم إلى توحيـد الله قبل الصلاة وقبل غيرهـا فدل ذلك على أن الدعـوة إلى أصل الدين مقدمـة، ثم بعد ذلك يتدرج بـدعوتهم، إلى الصلاة والـزكاة وبقية أمـور الدِّين، ولهـذا قال له بعـده: «فإن أطاعوك لـذلك فأعلمهم أن الله فـرض عليهم خمس صلوات في اليـوم والليلة، فإن أطـاعوك لذلك فأعلمهم...إلخ»[2].

ويقـول فضيلة الشيـخ محمد العثيميـن: «الدعـوة إلى الله مثـل ما قـال الرسـول ﷺ لمعاذ: «ليكن أول مـا تدعوهـم إليه شهادة أن لا إلـه إلا الله، فإن أجـابوك لـذلك، فـأخبرهـم أن الله افتـرض عليهم خمس صلـوات في اليـوم والليلة، فإن أجابوك لذلك فأخبـرهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم، تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم»[3].

فإذا كنـا نريد أن نـدعو كفاراً، فـلابد أن ندعـوهم كما أمـر النبي ﷺ في حديـث معاذ رضي الله عنه، وإذا أردنـا أن ندعـو شخصاً بعينه، فلننظـر أيضاً هل هـو كافـر، فتدعـوه إلى أصل الإسـلام، ثم بعـد ذلك نأمـره بالصـلاة، ثم بالزكاة، ثم بالصوم، ثم بالحج...»[4].

ويقول فضيلة الشيخ صالح الفوزان: «فالتدرج في الدعوة معناه: الإتيان

(1) مسلم، صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين (ك1 ح19) 1/ 50
(2) مقابلة علمية مع سماحته في يوم الجمعة الموافق 29/ 4/ 1414هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.
(3) مقابلة علمية مع سماحته في الجمعة المواق 29/ 4/ 1414هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.
(4) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الخميس الموافق 21/ 4/ 1414هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

بالأهم فالأهم. وذلـك بأن يبدأ أول شيء بالتوحيد: دعوة النـاس إلى التوحيد وعبادة الله وحده، لأن هذا هو الأساس»[1].

فدلت هذه الأقوال على أهمية البدء بـدعوة الناس إلى التوحيد، فلايبدأ بدعوة المشرك إلى نوع من الشريعة، كـالنهي عن الزنا، أو الربا، أو نحوه، قبل التوحيد، وفي ذلك يقول الشيخ صالـح الفوزان: «أما التدرج المنهي عنه، فهو العكس والـذي يسيـر عليه بعـض الدعـاة في عصـرنا الحـاضـر وهو أن يبـدأ بالأمـور التي هي دون الشـرك، يبدأ بنهي النـاس عن الـزنا وعن الكبـائر وأكل الربـا وغير ذلك، ويترك جـانب العقيدة ولا يهتم بـه فهذا عكس دعـوة الرسل عليهم الصـلاة والسلام، وأيضاً هـو لا يثمر ولا يفيد، لأنـه حتى لو تـرك النـاس هذه الكبائر وتعاملوا بالأخلاق الفاضلـة والمعاملات المباحة، مع بقاء الشرك فيهم، فإن هذه الأعمال لا تنفعهم، لأنهم بنـوا على أساس غير صحيح، بينما لو أن الإنسان حقـق التوحيد وتجنب الشرك، ووقع منـه بعض الكبائر وبعض المعاصي، فـإنه لا يخرج بـذلك من الإيمان، وتـرجى له المغفرة، وهـو تحت المشيئة، قـال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾[2].

وقال تعـالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾[3][4].

---

(١) مقـابلة علميـة مع فضيلته في يـوم الجمعـة الموافق ٧/ ٥/ ١٤١٤هـ مسجلـة في شريط محفوظ لدي.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ٣١.

(٤) مقـابلة علميـة مع فضيلتـه في يـوم الجمعة الموافق ٧/ ٥/ ١٤١٤هـ مسجلـة في شريط محفوظ لدي.

لكن لا بأس أن يظهر الداعية في تعامله مع المشرك، ما يجذبه إلى الإسلام، مثل زيارة الجار المشرك، والإحسان إليه، والإهداء إليه، أو معاملته بالأخلاق الفاضلة، والمعاملة الحسنة، وفي هذا يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «ولكن لو أن إنساناً رأى، أو داعية من الدعاة رأى، أن يدعوه إلى حضور مجالس العلماء، لعله ينشرح صدره، أو يدعوه إلى بر الوالدين، وصلة الأرحام، ويقول له: إن الإسلام جاء بهذا، لعله يميل إلى الإسلام فلا بأس عليه»(١).

ثانياً : التدرج في الدعوة إلى الشريعة :

لا شك أن الشريعة الإسلامية جاءت على أساس مراعاة مصالح الناس، ودفع المفاسد عنهم(٢) فاقتضت هذه المراعاة التدرج في الدعوة إلى هذه الشريعة. يقول فضيلة الشيخ صالح الفوزان: «هذا التدرج باق عند الحاجة إليه، ولا شك أن الشارع تدرج في تشريع الأحكام رحمة بالناس، وترغيباً لهم في القبول، ومن ذلك تدرجه في شريعة الصيام، وتدرجه في تحريم الخمر، وذلك من أجل الرحمة بالناس وعدم المشقة عليهم، وهذا التدرج مطلوب عند الحاجة إليه في كل زمان»(٣).

فالقاعدة إذاً في الدعوة إلى الشريعة مراعاة حال الدعوة والمدعو، زماناً ومكاناً، فإذا كان المدعو مسلماً فإن المصلحة تقتضي إلزامه بأحكام

---

(١) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الجمعة الموافق ٢٩/ ٤/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

(٢) انظر: د. عبدالكريم زيدان، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ص٩٣.

(٣) مقابلة علمية مع فضيلته يوم الجمعة الموافق ٧/ ٥/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

الشريعة جملة دون تدرج، يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «الواجب على المسلمين أن يلتزموا بالجميع، من أسلم يلتزم بالجميع، من أسلم يعلم التوحيد ، ثم يعلم جميع الشريعة فيالحال ، حتى يلتزم بها كلها»[١] . ويقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين مبيناً عدم التدرج في دعوة المسلمين إلى العمل بأحكام الشريعة: «مثلاً الخمر، لا نقول: أولاً نرغب الناس في تركها، ثم نحاولهم أن يتركوها أوقات الصلاة، بل نقول لهم هي حرام، وندعوهم بالتي هي أحسن فننظر إلى حالهم وندعوهم على حسب حالهم»[٢].

ويقول فضيلة الشيخ صالح الفوزان: «فإذا كان الذي يشرب الخمر يعلم أنه محرم، ويعلم الوعيد فهذا لا يحتاج إلى تدرج، لأنه يعلم هذا، وإنما يجب نهيه وزجره وإقامة الحد عليه، لأنه دخل في هذا الأمر وهو يعرف»[٣].

وتقتضي الحكمة في دعوة المسلمين إلى بعض أمور الشريعة في هذا العصر مراعاة جانب مهم وهو: تأخير إنكار المنكر إذا اقتضت حاجة الدعوة ذلك، يقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين: تأخير إنكار المنكر قد يكون من باب استعمال الحكمة في الدعوة إلى الله، فقد يكون هذا الرجل الفاعل للمنكر، لا يناسب أن ننكر عليه في هذا الوقت بالذات، لكن سأحتفظ

---

(١) مقابلة علمية مع سماحته في يوم الجمعة الموافق ٢٩/ ٤/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

(٢) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الجمعة الموافق ٢١/ ٤/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

(٣) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الجمعة الموافق ٧/٥/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

لنفسي بحق الإنكار عليه، ودعوته إلى الحق في وقت يكون أنسب، وهذا في الحقيقة طريق صحيح، فإن هذا الدين كما نعلم جميعاً بدأ بالتدرج شيئاً فشيئاً، فأقر الناس على ما كانوا يفعلونه من أمور، كانت في النهاية حراماً من أجل المصلحة، فهذه الخمر مثلاً بين الله تعالى لعباده أن فيها إثماً كبيراً، ومنافع للناس، وأن إثمها أكبر من نفعها، وبقي الناس عليها حتى نزلت آخر آية فيها تحرمها بتاتاً، فإذا رأى إنسان من المصلحة أن لا يدعو هذا الرجل في هذا الوقت، أو في هذا المكان، ويؤخر دعوته في وقت آخر، أو في مكان آخر، لأنه يرى أن ذلك أصلح أو أنفع، فهذا لا بأس به»[١].

أما إذا كان المدعو كافراً فإن فضيلة الشيخ محمد العثيمين يرى التدرج في دعوته إلى الشريعة فيقول: «فإذا كنا نريد أن ندعو الكفار وندعوهم كما أمر النبي ﷺ في حديث معاذ رضي الله عنه، إذا أردنا أن ندعو شخصاً بعينه، فلننظر أيضاً، هل هو كافر؟ فندعوه إلى أصل الإسلام، ثم بعد ذلك نأمره بالصلاة، ثم بالزكاة، ثم الصوم، ثم الحج...»[٢].

ولو اشترط هذا الصنف من المدعوين، ارتكاب بعض المخالفات الشرعية مقابل إسلامه، مثل شرب الخمر مثلاً، فإنه يتعامل معه وفق القاعدة الفقهية:

---

(١) محمد بن صالح العثيمين، الصحوة الإسلامية، ضوابط وتوجيهات، جمع وترتيب أبو أنس علي بن حسين أبو لوز، ص١٢١.

(٢) مقابلة علمية مع فضيلته يوم الخميس الموافق ٢١/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

«إذا تزاحمت المفاسد واضطر إلى واحد منها، قدم الأخف منها»[1]. فيقبل إسلامه ويقبل شرطه، يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «لا أعلم مانعاً، لأن شرب الخمر أسهل من بقائله على الكفر، يبين له التحريم، ويدعى له بالتوفيق، أنت إذا أسلمت إن شاء الله سوف تتركه فإن هذا خير من بقائه على الكفر»[2].

ويقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين: «ذهب العلماء إلى أنه يقبل إسلامه، فيقال له: أسلِم ثم إذا أسلم بينا له الحكم الشرعي في ذلك»[3]. بشرط أن يكون ذلك المدعو جاهلاً بحكم ما يدعى إليه من الشريعة فيقول: «إذا كان جاهلاً تحريم الخمر، لأنه نشأ في بلاد بعيدة عن بلاد الإسلام أو في بادية، ويجهل تحريم الخمر، وقد ألفها كما ذكرنا في الجواب، واعتادها، فهذا يتدرج معه، ببيان مفاسد الخمر، ثم إذا علم هذا وقامت عليه الحجة فإنه يمنع منها وإذا شرب يقام عليه الحد»[4]. فإنَّ المفاضلة بين الأعمال، والحث على أعلى المصلحتين ، وتقديم أهون المفسدتين ، جاءت به آيات كريمة في كتاب الله تعالى[5] قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ

---

(١) ابن سعدي، القواعد والأصول الجامعة، ص٧٨.

(٢) مقابلة علمية مع سماحته في يوم الجمعة الموافق ٢٩/ ٤/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

(٣) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الجمعة الموافق ٢١/ ٤/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

(٤) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الجمعة الموافق ٧/ ٥/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

(٥) انظر: السعدي، القواعد الحسان لتفسير القرآن ص١١٩.

أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِۗ»[1].

فبيَّن سبحانه، أن القتل وإن كان مفسدة، فهو أهون مما يفعله المشركون من فتنة المؤمنين، وصدهم عن سبيل الله، فقدم أهون المفسدتين، وهي القتل في الشهر الحرام، على الآخر وهي الصد عن سبيل الله[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية (٢١٧).

(٢) انظر: السعدي، القواعد الحسان، ص١١٩، ١٢٠.

المسألة الثانية

التدرج في الدعوة باعتبار الوسيلة والأسلوب

بينت في صلب هذا البحث أن النبي ﷺ، اتخذ عدة وسائل في تبليغ دعوته فابتدأ بالقول، ثم لما هاجر إلى المدينة، اتخذ وسيلة السرايا والغزوات، لحماية الدعوة ، وإخضاع أعدائها لها ، ثم اتخذ وسيلة الكتب ، والرسائل لتبليغ الدعوة خارج المحيط العربي، ثم اتخذ وسيلة البعوث، لتكون وسيلة دعوية تعليمية، وذلك في آخر حياته ﷺ، وسلك ﷺ أساليب حكيمة في دعوته، فابتدأ بأسلوب العرض في العهد المكي، ثم في بداية العهد المدني اتخذ أسلوب الحماية، لحماية الدعوة والدفاع عنها، ثم اتخذ أسلوب الإلزام، بعد أن هزم الله أعداءه، وظهرت قوته، فألزم من تبقى من أعداء الدعوة بالخضوع لها، ثم اتخذ أسلوب التأليف بعد أن أفاء الله عليه في حنين. والمتأمل لسيرته ﷺ يتبين له أن تلك الوسائل والأساليب قد جاءت متدرجة خطوة خطوة، فهل يلزم الدعاة في هذا العصر أن يتخذوا تلك الوسائل والأساليب بعينها، وأن يتدرجوا فيها، أم أنها خاصة به ﷺ؟

لاشك أن ظروف دعوته ﷺ تختلف عن ظروف الآخرين، فهو ـ عليه الصلاة والسلام ـ إنما يتلقى الوحي من الله تعالى، في كل شيء من أمور دعوته، ثم إنه ﷺ اتخذ تلك الوسائل والأساليب، وتدرج فيها مراعياً في ذلك ظروف الدعوة المكانية والزمانية، وكان ﷺ يقوم بهذا العمل بصفته ولي أمر المسلمين في عصره ﷺ.

فالقاعدة إذاً، في اتخاذ الوسائل في الدعوة إلى الله، خاضعة لظروف الدعوة والداعية، المكانية والزمانية. يقول فضيلة الشيخ محمد العثيمين: «يجب أن نعرف قاعدة وهي أن الوسائل بحسب المقاصد، كما هو مقرر عند أهل العلم أن الوسيلة لها أحكام المقصد، ما لم تكن هذه الوسيلة محرمة، فإن كانت محرمة فلا خير فيها.

وأما إذا كانت مباحة، وكانت توصل إلى ثمرة مقصودة شرعاً، فإنه لابأس بها، ولكن لا يعني ذلك أن نعدل عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما فيهما من مواعظ، إلى ما نرى أنه وسيلة في الدعوة إلى الله. وقد نرى أن هذا وسيلة، ويرى غيرنا أنه ليس بوسيلة، ولهذا ينبغي للإنسان في الدعوة إلى الله، أن يستعمل الوسيلة التي يتفق الناس عليها، حتى لا تخدش دعوته إلى الله، بما فيه الخلاف بين الناس»[1].

ويقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «الظاهر من الشرع المطهر، أن الدعاة يلزمهم ما يستطيعون، وما يرون أنه أقرب إلى النجاح حسب الحال، فإذا رأوا البداءة بالقول والتوجيه، ثم إذا قبل الإسلام، تبيّن له أحكام الشرع، وإذا رأوا أن الدعوة تكون بالمكاتبة دون المشافهة، ليبسطوا له القول في ذلك، أو رأوا أن يبدأ بالقول والعمل جميعاً، فكل ذلك منوط بالمصلحة الشرعية التي يرونها، فالمقصود أن عهد النبي ﷺ ليس مثل عهدنا ففي عهد النبي ﷺ كان الوحي من الله جلّ وعلا، يأمره أن يبقى على الدعوة فقط،

(١) فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الصحوة الإسلامية جمع وترتيب أبو أنس علي بن حسين أبو لوز ص٩٩.

(٢) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الجمعة الموافق ٢٩/ ٤/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

حتى شرع الله له الهجرة، وشرع الله بعد ذلك أشياء أخرى...». أما الأساليب التي سلكها ﷺ في دعوته فيفعل الدعاة إلى الله، ما يمكنهم فعله منها، يقول سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز: «يعمل الداعي ما يستطيع من هذه الأساليب ولو بادر بالتأليف بالمال، فيعطيهم المال حتى يسلموا فالرسول ﷺ في مكة كان فقيراً وليس عنده مال حتى يعطيهم، فلما أفاء الله عليه في حنين أنفق على الناس وتألفهم، فالحاصل أن الأمور الآن استقرت، أما في عهد النبي ﷺ فقد أخذ بالتدرج لعدم قدرته، ولأن ذلك في مقتضى المصلحة مع الكفار، لعجزه عن الجهاد وعجزه عن المال، وقلة الأنصار فلما كثر الأنصار وتيسر المال، جاهد، وبذل المال، وتألف الناس، وقتل من قتل»[١].

ويقول فضيلة الشيخ الفوزان: «قضية العرض والحماية، والإلزام والتأليف هذه ليست من باب الترتيب، وإنما هي من باب العمل عند الحاجة، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، واختلاف الناس، فإذا دعت الحاجة إلى البداءة بالبيان، فإنه يقتصر على البيان، وإذا دعت الحاجة إلى الحماية، بأنه حصل عدوان على الدعوة، فإنه يبدأ بالحماية، وهكذا الأمور إنما تعمل عند الحاجة إليها، في كل زمان وفي كل مكان والله أعلم»[٢].

ويستفاد من هذه الأقوال، أن القاعدة في اتخاذ الوسائل والأساليب الدعوية هي مراعاة حال الدعوة زماناً ومكاناً.

---

(١) مقابلة علمية مع سماحته في يوم الجمعة الموافق ٢٩/ ٤/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

(٢) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الجمعة الموافق ٧/ ٥/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

المسألة الثالثة

التدرج في الدعوة باعتبار المدعو

البدء بالأقربين، هو ما جاءت به الآيات القرآنية، وهو ما فعله النبي ﷺ، حيث ابتدأ بدعوة الأقربين، وقد فصلنا القول في ذلك في موضعه، من هذا البحث.

وحيث إن المدعو هو الإنسان في عصره ﷺ وفي كل عصر، وقد ابتدأ ﷺ بدعوة الأقربين، بتوجيه من الله تعالى في قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[1]. وقضى فترة زمنية ليست بالقصيرة، يدعوهم إلى الله تعالى، وينذرهم عذابه، فدل هذا على أن البداءة بالأقربين، مستمرة في كل زمان.

يقول الشيخ صالح الفوزان: «هذا بلا شك، أن الإنسان الداعية إلى الله يبدأ أول شيء بنفسه، يمتثل أوامر الله، ويجتنب نواهي الله، قبل أن يدعو الآخرين ، ولهذا يقول الله سبحانه وتعالى في نبيه شعيب عليه السلام ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ﴾[2].

وكذلك الله جل وعلا عاب على بني إسرائيل: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[3]. ثم إذا فرغ الإنسان

---

(١) سورة الشعراء الآية (٢١٤).

(٢) سورة هود الآية (٨٨).

(٣) سورة البقرة الآية (٤٤).

من إصلاح نفسه واستقامتها فإنه يبدأ بأقرب الناس إليه، كما قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[2]. وكما قال لنبيه ﷺ ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾[3]. وقال تعالى في حق إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا﴾[4]. ويبين فضيلته الحكمة من البداءة بالأقربين فيقول: «لأن الإنسان إذا ذهب يدعو الناس وهو تارك لأقرب الناس إليه ولأهله ولأهل بيته فإن الناس سيقولون لو كان ما يدعو إليه حقاً لبدأ بمن هم أقرب الناس إليه وسيحتجون عليه بأهل بيته وبأقاربه ويقولون كيف تدعونا وأهلك يعملون كذا وبيتك يعمل كذا ويكون هذا من معوقات الدعوة: والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[5]

فأمر بالبداءة بالذين يلون ثم الذين من بعدهم. هكذا يكون الدعوة إلى الله عز وجل، تدرج من النفس إلى الأقارب إلى العشيرة إلى الآخرين»[6].

فالأصل إذاً في دعوة المدعوين، البدء بالأقربين أولاً، كما فعل ﷺ، ثم

---

(١) سورة الشعراء الآية (٢١٤).
(٢) سورة التحريم الآية (٦).
(٣) سورة طه الآية (١٣٢).
(٤) سورة مريم الآيتان (٥٤-٥٥)
(٥) سورة التوبة الآية (١٢٣).
(٦) مقابلة علمية مع فضيلته يوم الجمعة الموافق ٧/ ٥/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ عندي.

التدرج بعد ذلك، لكن هذا البدء بالأقربين، إذا ترتب عليه ضرر للداعية، في نفسه أو في دعوته، فإن البدء بهم لا يلزم، وإلى ذلك يشير سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز فيقول: «لا يلزم ذلك لكن إذا تيسر فهم أحق الناس ببره، وقد يكون عندهم شر وعندهم نفور شديد فيضرونه، وقد تكون دعوة غيرهم أسهل عليه وأقرب، وقد يكون أيضاً بعضهم بعيداً عنه، وغيرهم أقرب إليه، فالمقصود أنه لا يلزمه البداءة بأقرب الأقربين، إنما هو أفضل، إذا تيسر له البدء بالأقربين، لأنهم أحق الناس ببره وصلته وإحسانه، فإذا تيسَّر البدء بهم فحسن، ولكن لا يلزمه ذلك، وإذا لم يتيسر ذلك يدعو غيرهم والحمد لله»[1].

---

(١) مقابلة علمية مع فضيلته في يوم الجمعة الموافق ٧/ ٥/ ١٤١٤هـ مسجلة في شريط محفوظ لدي.

الخاتمــــة

الحمـد لله حمداً كثيـراً طيباً مبـاركاً فيـه، على ماأنعـم به عليَّ مـن نعم عظيمة، ومن هذه النعم، كتابة هذا البحث.

وفي خـاتمتـه أسـأل الله سبحـانـه أن يتقبلـه بقبـول حسن، وأن يجعلـه خالصاً لوجهه الكـريم، وأن ينفع بـه عباده الصالحيـن من الدعاة وغيـرهم ـ ويجـدر في نهـايـة هذا البحـث بيان أهـم مـاتوصلـت إليه مـن نتـائج وأهم التوصيات التي أراها تستحق الذكر.

لقـد طـوف البحث فـي آفـاق دعـوة النبي ﷺ الكـريمـة، مـوضـوعهـا، ووسائلهـا، وأساليبها، ومـدعوّيها، وقـد تبين لي في ثنـايا هذا البحـث أهمية مراعـاة الأولويـات في الدعـوة إلى الله أسوة بـرسول الهدى ﷺ، حيـث ابتدأ بالدعوة إلى التـوحيد، ثم دعا إلى الشريعة، مراعياً الأولـويات، والبدء بالمهم فالذي يليه.

كمـا تبيّن لي أهميـة مراعـاة الاستفادة مـن الوسـائل، واتخاذ الأَسـاليب المناسبة لظروف الدعوة، زماناً ومكاناً، كما فعل النبي ﷺ إذ ابتدأ بالقول، ثم السـرايا والغـزوات، ثم الكتب والـرسائل، ثم الـوفود والبعـوث، فكان القـول وسيلته الأَسـاسية في العهـد المكي، وكانت الـوفود والبعوث وسيلتـه ﷺ في أواخر حياته.

واتخذ أسـاليب مناسبـة لظروف الـدعوة أيضاً حيـث ابتدأ بالعـرض، ثم

الحماية، ثم الإلزام، ثم التأليف.

وتبين لي في ثنايا هذا البحث، أهمية مراعاة أحوال المدعوين، وذلك بالتعرف عليهم، والعناية بذوي المكانة منهم، ومافي هذه المراعاة من دواعي الاستجابة للداعية وقبول دعوته.

كما تبين لي في ثناياه، أن لهذا التدرج حكماً عظيمة، أهمها: أنه ينتهي بالمدعو إلى الرسوخ في هذا الدين والثبات عليه.

التوصيـــــات:

وإنني بعد أن انتهيت من كتابة هذا البحث لأجد هنالك بعض التوصيات التي تجدر الإشارة إليها والتنبيه إلى أَهميتها وأهم هذه التوصيات مايلي:

١ ـ أقترح عقد دورات للدعاة في الدعوة إلى الله، ـ أسوة بدورات المبتعثين ـ يُبصرون فيها إلى الطريقة المثلى في الدعوة إلى الله وأهمية مراعاة الأولويات في الدعوة أسوة بالنبي ﷺ، وأهمية مراعاة الاستفادة من الوسائل المعاصرة، التي لاتتعارض مع شرع الله في الدعوة، واستخدام الأَساليب المناسبة لظروف الدعوة المكانية والزمانية.

٢ ـ أوصي بمزيد الاهتمام بجانب المدعوين، ولذا فإني أقترح إيجاد لجنة يشترك فيها عدد من أساتذة الدعوة في الجامعات في هذه البلاد، مهمتها السفر إلى الدول الإسلامية، التي تكثر فيها البدع، ومن ثم التعرف على أحوال المدعوين هناك ، ثم العناية بذوي المكانة منهم ، الذين يتبعهم خلق كثير، وتيسير السبل أمام أبنائهم، والعمل على إعطائهم الفرصة،

لمواصلة دراساتهم الشرعية في جامعات هذه البلاد، وربطهم بعلمائها، لما في ذلك من أثر في تصحيح عقائدهم، ومن ثم التأثير على أتباعهم.

٣ ـ أوصي كذلك باختيار الدعاة المؤهلين للقيام بالمهمات الدعوية من الذين تتوفر فيهم الأُمور التي أَشرنا إليها خلال هذا البحث، ودعمهم وتيسير السبل الكفيلة بتوفير مايلزم لهم لنجاح دعوتهم، من أمور مادية ومعنوية، ليتم على أيديهم تحقيق النجاح المؤمل للدعوة الإسلامية.

٤ ـ أوصي الدعاة إلى الله بمراعاة جانب التدرج في دعوتهم إلى تطبيق الأَحكام الشرعية في العصر الحاضر، فمعالجة الربا مثلاً تحتاج إلى نوع من التدرج في جانب الاستبدال والتدرج الزمني، وكذلك غيره من الأمور المخالفة لشريعة الله لابد من مراعاة التدرج في إزالتها والقضاء عليها، سيما الأمور التي تدرج الشارع في تحريمها.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهرس المصادر والمراجع

١ - إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، دار الفكر بدون تاريخ.

٢ - ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت بدون تاريخ.

٣ - أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت (ط٢/ ١٤٠٧هـ).

٤ - أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، طبعة دار صادر بيروت، بدون تاريخ.

٥ - أحمد الشايب، الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية)، الناشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (ط٧/ ١٣٩٦هـ).

٦ - أحمد بن عبدالرحمن البنا، الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٧ - أحمد عبدالرحمن إبراهيم، الفضائل الخلقية في الإسلام، دار الطباعة والنشر، الرياض (ط١/ ١٤٠٢هـ).

٨ - أحمد محمد أبا بطين، المرأة المسلمة المعاصرة، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع (ط٢/ ١٤١٢هـ).

٩ - البخاري أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، تحقيق

الدكتور مصطفى ديب البغا، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع، ودار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع (ط٤/ ١٤١٠هـ).

١٠ ـ الترمذي، جامع الترمذي، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي (ط٢/ ١٣٩٥هـ).

١١ ـ التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، الشركة التونسية للتوزيع ١٩٧١م.

١٢ ـ توفيق يوسف الواعي. الدعوة إلى الله ـ الرسالة والهدف مكتبة الفلاح، الكويت ١٤٠٦هـ.

١٣ ـ ابن تيمية، التفسير الكبير، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة، دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٨هـ.

١٤ ـ الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن تحقيق محمد صادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٥هـ.

١٥ ـ الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين (ط٢/ ١٣٣٩هـ).

١٦ ـ الحاكم أبو عبدالله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، بدون تاريخ.

١٧ ـ ابن حجر أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر ١٤١١هـ.

١٨ ـ حسن عيسى عبدالظاهر، فصول في الدعوة الإسلامية، نشر وتوزيع دار الثقافة، قطر، الدوحة (ط١/ ١٤٠٦هـ).

١٩ ـ خالد محمد علي الحاج، مصرع الشرك والخرافة، حققه وراجعه عبدالله بن إبراهيم الأنصاري، إدارة الشؤون الدينية بدولة قطر ١٣٩٨هـ.

٢٠ ـ الدعوة الإسلامية ـ الوسائل ـ الخطط ـ المداخل ـ بحوث ووقائع اللقاء الخامس لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد بنيروبي بكينيا تاريخ ٢٦ جمادى الثانية، إلى رجب ١٤٠٢هـ الندوة العالمية للشباب الإسلامي، (ط١/ ١٤٠٥هـ).

٢١ ـ الراغب، أبو القاسم الحسين بن محمد الأَصبهاني، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.

٢٢ ـ الزمخشري، محمود بن عمر، الكشاف، ضبطه مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي (ط٣ ١٤٠٧هـ).

٢٣ ـ زيد بن عبدالكريم الزيد، وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير إلى المدينة، دار العاصمة (ط١/ ١٤١٢هـ).

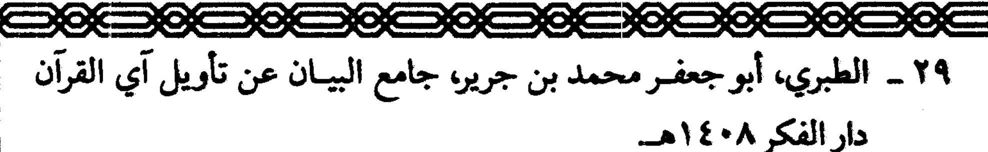
٢٤ ـ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، المكتب الإسلامي (ط٦/ ١٤٠٥هـ).

٢٥ ـ سيد محمد ساداتي الشنقيطي، ركائز الإعلام في دعوة إبراهيم عليه السلام، بحث غير مطبوع.

٢٦ ـ الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار الفكر للطباعة، بدون تاريخ.

٢٧ ـ صبحي الصالح، معالم الشريعة الإسلامية، دار العلم للملايين (ط٤/ ١٩٨٢م).

٢٨ ـ صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (ط١/ ١٤٠٥هـ).



٢٩ ـ الطبري، أبو جعفـر محمد بن جرير، جامع البيـان عن تأويل آي القرآن دار الفكر ١٤٠٨هـ.

٣٠ ـ عبـــدالرحمـــن بن محمـد بن قاسم العاصمي القحطـاني النجدي، مجموع فتـاوى شيخ الإسـلام أحمد بن تيميـة قدّس الله روحـه، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، بدون تاريخ.

٣١ ـ الدرر السنيـة في الأجـوبة النجـدية، الـدار العـربية للطبـاعة والنشـر، بيروت، (ط٢/ ١٤٠٢هـ).

٣٢ ـ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، القـول السديد في شرح كتاب التوحيد دار الوطن للنشر ـ الرياض (ط١/ ١٤١٢هـ).

٣٣ ـ عبـدالفتاح عـاشور، منهـــج القـرآن في تـربية المجتمـع، دار الجيل للطباعة، (ط١/ ١٣٩٩هـ).

٣٤ ـ عبدالكريم زيدان، أصول الدعـوة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ـ المنصورة (ط٥/ ١٤١٢هـ).

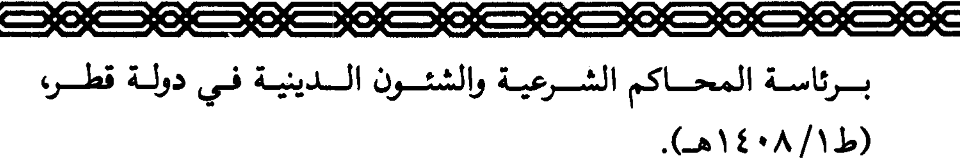
٣٥ ـ عبدالله بن محمد آل موسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، (ط١/ ١٤٠٥هـ).

٣٦ ـ عبـدالناصـر توفيق العطــــار، تعـدد الزوجـات مـن النواحي الـدينية والاجتماعية والقانونية، دار الشروق، جدة (ط٤/ ١٣٩٧هـ).

٣٧ ـ علـي بن جابـــر الحربي، منهـج الدعـوة النبوية فـي المرحلـة المكية، الزهراء للإعلام العربي (ط١/ ١٤٠٩هـ).

٣٨ ـ علـي عبدالحليـــم محمود، فقـه الدعـوة إلى الله، دار الوفـاء للطباعـة والنشر والتوزيع (ط١/ ١٤١٠هـ).

٣٩ ـ عمر عبيد حسنة، فقه الدعوة، مـلامح وآفاق، مركز البحوث والمعلومات



بـرئاسـة المحـاكم الشـرعيـة والشئـون الـدينيـة فـي دولـة قطـر، (ط١/ ١٤٠٨هـ).

٤٠ ـ ابن فارس، أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ.

٤١ ـ الفخر الرازي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ.

٤٢ ـ فنسنـك وآخرون، المعجم المفهـرس لألفاظ الحـديث، مطبعة بـريل، ليدن ١٩٦٢م.

٤٣ ـ فهد بن عبدالرحمن الـرومي، خصائص القرآن الكريم، (ط٤/ ١٤٠٩هـ) بدون ذكر الناشر.

٤٤ ـ الفيـروز ابادي مجـد الدين محمد بـن يعقوب، القامـوس المحيط، دار الجيل، بيروت، بدون تاريخ.

٤٥ ـ القـــرطبي، أبـو عبدالله محمد بن أحمـد الأنصاري، الجامـع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.

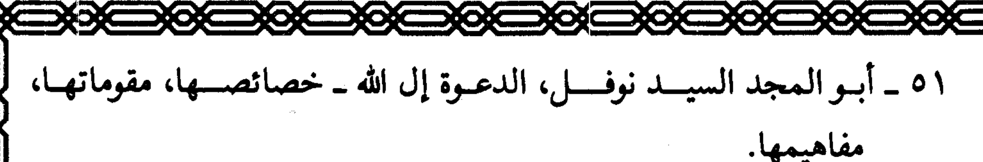
٤٦ ـ ابـن قيـــم الجوزية، زاد المعـاد في هـدي خير العبـاد، تحقيق شعيب الأرناؤوط وعبدالقادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ط٤، ١٤٠٧هـ.

٤٧ ـ الصواعق المـرسلة علـى الجهمية والمعطلـة، تحقيق علي بن محمـد الدخيل الله دار العاصمة ـ الرياض، ١٤٠٨هـ.

٤٨ ـ ابن كثير، أبـو الفداء إسماعيل، البدايةوالنهايـة مكتبة المعارف، بيروت، بدون تاريخ.

٤٩ ـ السيرة النبـوية، تحقيق مصطفى عبدالواحد، دار إحيـاء التراث العربي، بيروت، بدون تاريخ.

٥٠ ـ تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٢هـ.



٥١ ـ أبو المجد السيد نوفل، الدعوة إل الله ـ خصائصها، مقوماتها، مفاهيمها.

٥٢ ـ محماس بن عبدالله بن محمد الجلعود، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، (ط١/ ١٤٠٧هـ).

٥٣ ـ محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة (ط١/ ١٤١٢هـ).

٥٤ ـ محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، المكتبة القصرية، صيدا، بيروت، بدون تاريخ.

٥٥ ـ محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، (ط٢/ ١٤١٢هـ).

٥٦ ـ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، مكتبة ابن تيمية ١٤٠٨هـ.

٥٧ ـ محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

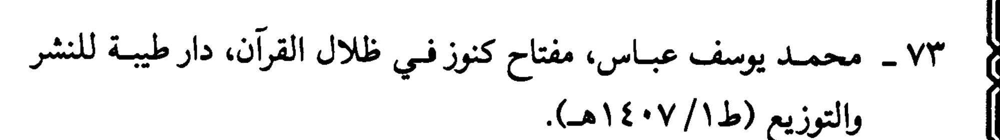
٥٨ ـ محمد الغزالي، مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة ١٤٠٥هـ.

٥٩ ـ محمد بن سيدي بن الحبيب، الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، دار الوفاء، جدة، (ط١/ ١٤٠٦هـ).

٦٠ ـ محمد بن صالح العثيمين، الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، جمع وترتيب أبو أنس/ علي حسين أبو لوز.

٦١ ـ محمد بن عبدالوهاب مؤلفاته، صنفها وأعدها د. عبدالعزيز بن زيد الرومي، د. محمد بتاجي، د سيد محمد بن علي بن محمد الشوكاني ط جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.

٦٢ ـ محمد بن مخلف بن صالح المخلف، الحرب النفسية في صدر الإسلام، دار عالم الكتب للطباعة والنشر (ط١/ ١٤١٣هـ).
٦٣ ـ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (ط٢/ ١٤٠٣هـ).
٦٤ ـ محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة (ط٢ بدون تاريخ).
٦٥ ـ محمد زكي الدّين محمد قاسم، الدعوة إلى الله فقهاً ومنهجاً، دار الصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، (ط١/ ١٤١١هـ).
٦٦ ـ محمد سعيد البوطي، فقه السيرة النبوية، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان (ط١٠/ ١٤١١هـ.
٦٧ ـ محمد عبدالله دراز، دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأَخلاق النظرية في القرآن، تحقيق وتعليق دكتور/ عبدالصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط٤/ ١٤٠٢هـ).
٦٨ ـ محمد عجاج الخطيب، أضواء على الأعلام في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، (ط١/ ١٤٠٥هـ).
٦٩ ـ محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث القاهرة (ط٢/ ١٤٠٨هـ).
٧٠ ـ محمد محمود الصواف، زوجات النبي ﷺ الطاهرات وحكمة تعددهن. دار الاعتصام، القاهرة ١٣٩٩هـ.
٧١ ـ محمد ناصر الدِّين الألباني، صحيح سنن أبي داود، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج (ط١/ ١٤٠٩هـ).
٧٢ ـ صحيح سنن الترمذي، الناشر مكتب التربية العربي لدول الخليج (ط/ ١٤٠٨هـ).



٧٣ ـ محمد يوسف عباس، مفتاح كنوز في ظلال القرآن، دار طيبة للنشر والتوزيع (ط١/ ١٤٠٧هـ).

٧٤ ـ محمد يوسف مصطفى، العلاقات العامة والإعلام في الإسلام، مكتبة مصباح، جدة (ط١/ ١٤٠٩هـ).

٧٥ ـ مسفر البواردي، أسس الدعوة في سورة إبراهيم عليه السلام، بحث مكمل لدرجة الماجستير في الدعوة، مقدم لكلية الدعوة والإعلام بالرياض، غير مطبوع.

٧٦ ـ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، الصحيح تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي ١٣٧٤.

٧٧ ـ ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت بدون تاريخ..

٧٨ ـ الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت ط٢، ١٤١٠هـ.

٧٩ ـ ناصر بن عبدالكريم العقل، التلازم بين العقيدة والشريعة، دار الوطن (ط١/ ١٤١٢هـ).

٨٠ ـ النووي، يحيى بن شرف، شرح صحيح مسلم، دار الفكر للطباعة بدون تاريخ.

٨١ ـ ابن هشام، أبو محمد عبدالملك المعافرين، السيرة النبوية دار الجيل، بيروت ١٩٧٥م.

٨٢ ـ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري، أسباب النزول دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

٨٣ ـ يوسف خياط، معجم المصطلحات العلمية والفنية، دار لسان العرب بيروت.

٨٤ ـ وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المجلس العلمي، أشرف على طباعته ونشره دار الثقافة بالجامعة ١٤٠٤هـ.

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة